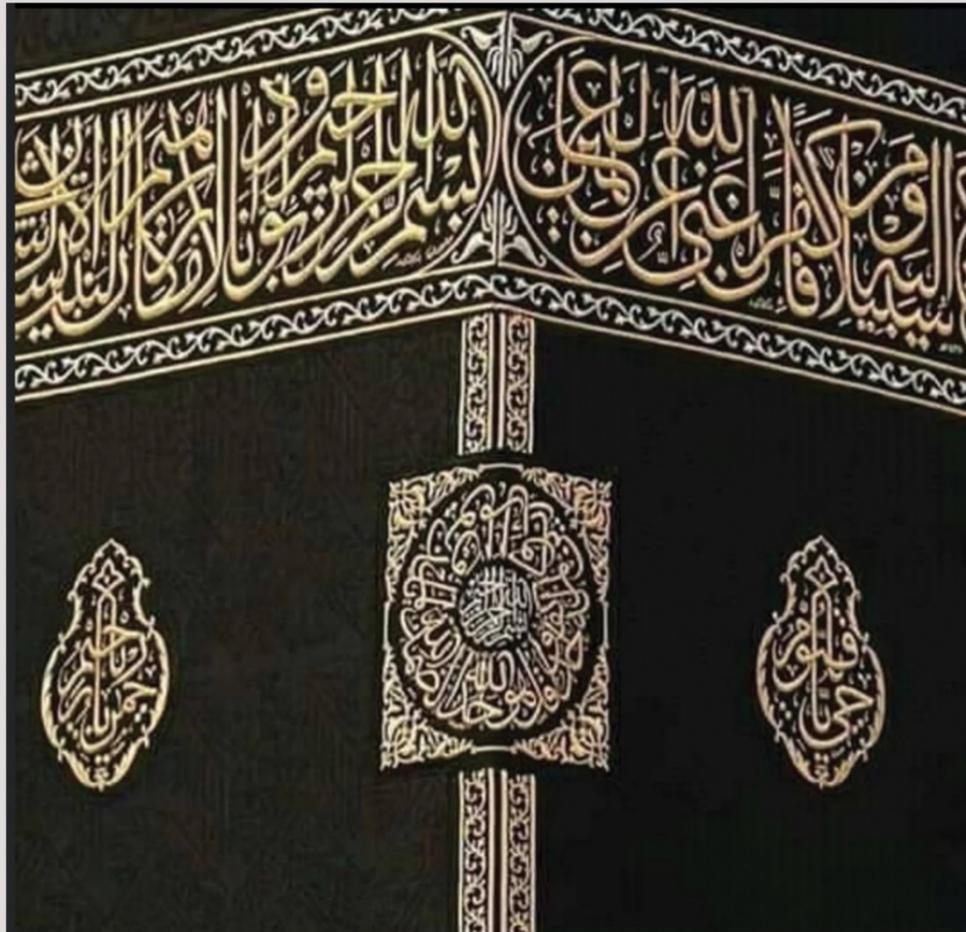




شِعْرَةُ الْهُدَى الْإِسْلَامِيَّةِ
محرم وعبدالمطلب والمصري والقطائف



شِعْرُ الْعَرَبِ الْأَشْجَلِ
مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ الْمَطْبِ وَالصَّرِي وَالْقَاتِفِ

الدكتور محمد راجوادي

شِعْرُ الْعُرُوْبِ الْاِسْلَامِيَّةِ
محرّم وعبدالمطلب والمصري والكاشف





الطبعة الأولى

2020 - 1442

ISBN 978-625-7580-30-4



إهداء

إلى الصديق الكريم

الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي

هذا الكتاب

يرنو هذا الكتاب إلى أن يقدم صورة عريضة الأفق و واسعة الزوايا لمشاعر أبناء الأمة الإسلامية في عصر الاحتلال الأوربي، فقد علمنا التاريخ أن الشعوب الطموحة تحرص ، وهي تحت ظل الاحتلال ، على أن تبحث في هويتها عن عوامل القوة والمجد والبناء ، وهذا هو ما حدث بالضبط في ظل الاحتلال البريطاني لمصر منذ ١٨٨٢، وقد عبر الشعر عن هذا الإحساس الذكي في أعمال عدد من كبار شعراء ذلك العصر الذين عاشوا حياة بسيطة في طابعها ، لكنها ذاخرة بقيمها النفيسة ، وكانت حياة كل منهم تقترب من السياسة بقدر يفوق في عمقه قدر اقترابهم من العمل العام كما كانت تعبر عن السياسة في معناها العميق بقدر يفوق ما يعبر به الوجدان المرهف للمواطن الذكي المنتمي، ولهذا فإننا نجد في أشعار هؤلاء الرواد الأربعة إحساسا دافقا بالعزة والعزيمة اللتين تستهديان بالدين كما نجد حنيننا ملحا ويقظا إلى الأصالة والسلالة، و نصادف أيضا إيمانا حفيا بالصعود والنهوض، والإحياء و البعث كما نصادف استثارة متكررة للنخوة والكرامة، وفوق هذا كله فإننا نجد التعبير عن الولاء للإمبراطورية الإسلامية القائمة من خلال سلطان ممتد لدولة الخلافة العثمانية، و يعبر هذا الولاء عن نفسه أيضا بولاء متجدد لقيم الوطن وتاريخه.

وقد كان من الطبيعي أن تتجه أعمال هؤلاء الشعراء إلى استلهام مجد الإسلام في أزهى عصوره على نحو ما ينبغي أن يكون هذا الاستلهام ، وما يرتبط بالاستلهام من استدعاء واستحضار و تصوير فني لا يجيده إلا من ملكوا ناصية التعبير، و ملكة التأريخ ، وتمكنوا من القدرة على صياغة دلالات الرؤية الكفيلة باستعادة المجد، وقد أضاف هؤلاء الأربعة إلى أعمال الشعراء الكبار حافط وشوقي ما جعل من أعمال هذه الحقبة التي ضمت هؤلاء الشعراء الستة نموذجا يحتذى به في التأريخ للإسلام ومجده ودولته.

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن هؤلاء الشعراء الستة الرواد و المتفوقين والمجيدين سبقوا بأشعارهم المعبرة عن ضرورات الهوية الإسلامية واركائها ما توالى بعد ذلك من جهود الموسوعيين والأساتذة الأكاديميين والمؤرخين المحدثين و كبار الأدباء في تسجيل مجد الإسلام ، وذلك على نحو ما نعرفه ونؤمن به من أن الشعر العربي عادة ما يسبق النثر في ارتياد آفاق الفكر في كل العصور.

ومع أن كثيرا من ستر التجاهل قد فرضت على أعمال هؤلاء الشعراء الستة في هذا الميدان الزاهي و المرموق لأسباب لا يمكن إنكار حدوثها عن عمد ، فإن الأوان لم يفت لتقديم مجموعة أعمال هؤلاء الشعراء الستة الكبار الذين كان ترتيبهم حسب تواريخ مولدهم الذي صار الاتفاق عليها :

١٩٣٢	١٨٦٨	▪ أحمد شوقي
١٩٣١	١٨٧١	▪ محمد عبد المطلب
١٩٣٢	١٨٧٢	▪ محمد حافظ إبراهيم
١٩٤٥	١٨٧٧	▪ أحمد محرم
١٩٤٨	١٨٧٨	▪ أحمد الكاشف
١٩٢٢	١٨٨٧	▪ عبد الحلیم المصري

ومن الواجب أن نشير في عجالة إلى أن الشاعرين الأول والرابع (أي أحمد شوقي وأحمد محرم) نظما ديوانين في مجد الإسلام وتاريخ نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد سبق الشاعر أحمد محرم إلى نظم الألياذة الإسلامية فأعجب أمير الشعراء احمد شوقي بالفكرة الذي كان مترددا فيها ونظم إلياذة أخرى سماها ديوان دول العرب .

ومن المستحب أيضا أن نشير في هذه المقدمة إلى أن الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان موضوعا لقصيدة طويلة للشاعر السادس (عبد الحلیم المصري) ، وإلى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان موضوعا لقصيدة طويلة للشاعر الثالث (حافظ إبراهيم) وإلى أن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان موضوعا لقصيدة طويلة للشاعر الثاني منهم (محمد عبد

المطلب). وهكا فإن ثلاثة شعراء متعاصرين نظموا ثلاث ملاحم عظيمة في ثلاثة من الخلفاء الراشدين و ينبغي لنا أيضا أن نشير إلى شعراء آخرين في هذا الجيل لم نقدم دراستنا عنهم بعد ، وفي مقدمتهم الشاعر محمد حسن النجمي.

يرنو هذا الكتاب إلى أن ينعم الله عليه بالصدور عن قريب وأن يصدر معه توأمه شعراء الأهواء النبيلة الذي يضم دراساتنا عن خمسة من الشعراء هم

- حسن القاياتي
- محمود أبو الوفا
- أحمد مخيمر
- طاهر أبو فاشا
- عبد العليم عيسى

ولهذا فإننا لا نقوت هذه الفرصة في ذكر ما نفخر به من أن الشاعر أحمد مخيمر (و هو من جيل لاحق بهؤلاء الشعراء) ، كان ثاني الشعراء الخمسة الذين درسناهم في ذلك الكتاب التوأم، وقد رزق هذا الشاعر التوفيق بما قدمه من عمل أسطوري الجهد في ديوانه روح القدس الذي يقع في ٥١٥٠ بيتا من بحر الخفيف.

ومن مجموع هذه الأعمال الشعرية المعاصرة فإن إيادة عربية كبرى قابلة لأن تتشكل ولأن تتكون معتمدة على صياغة موسيقية ومسرحية ذكية تنظم في نسيج لحنى وتعبيري متصل ما اشترك فيه شعراء العرب المعاصرون على نحو ما نسجت الملاحم الكلاسيكية ما اشترك أسلافهم في الحضارات السالفة فيه من صياغة الأعمال الملحمية الكبيرة والخالدة .

وقد لمسنا هذه المعاني منذ أكثر من ثلاثين عاما في كتابنا أدباء التنوير و التاريخ الإسلامي ، وكانت أولى الإشارات التي نبهتنا لهذا الجانب المشرق من جوانب وعينا بذاتنا قد جاءتنا من تعليق للدكتور على مصطفى مشرفة في يومياته وهو يستحضر في غربته أبياتا من القصيدة العمرية للشاعر حافظ إبراهيم .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفذ به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعف، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدي برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، و يقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع وبالتأكيد، كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د. محمد الجوادي

الفصل الأول : الشاعر أحمد محرم

آخر شعراء الخلافة الإسلامية

مكانته في تاريخ الأدب وفي تاريخ أمته

الشاعر أحمد محرم ١٨٧٧- ١٩٤٥ واحد من ألمع شعراء العصر الحديث وأرفعهم قدرا ، وهو في مقدمة المتنافسين على المكانة الثالثة بعد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، وقد تناولنا هذه الفكرة ذات مرة في مقال بعنوان شوقي وحافظ الشعاران فمن هو ثالثهما؟ ومع أنه طوّف في شعره بأفاق عديدة ، فقد بقيت له إسلامياته المتميزة حتى إنه يعتبر حتى يومنا هذا أبرز شعراء الملحمة الإسلامية على نحو ما سنعرض له بعد قليل .

وقد تجلى حب هذا الشاعر الفذ للإسلام وجامعته أو دولته المتحدة في انتباهه الذكي لما اقترحه عليه المسلمون الغيورون من عناية بتاريخ الإسلام كله ، و استجابته لدعوة الأستاذ محب الدين الخطيب لكتابة التاريخ الإسلامي على هيئة شبيهة بالملاحم ، وهي الدعوة التي لم يسعف العمر أمير الشعراء أحمد شوقي لإنجازها ، لكن أحمد محرم أنجز أولها في الديوان الذي سماه مجد الإسلام ، وهي ذات الدعوة التي مضى الشاعر حافظ إبراهيم في سبيلها خطوات موفقة فأنجز في ميدانها ملحمة شعرية في غاية التوفيق والتفوق وهي قصيدته العمرية .

وقد لمسنا هذه المعاني منذ أكثر من ثلاثين عاما في كتابنا أدباء التنوير و التاريخ الإسلامي ، وكانت أولى الإشارات التي نبهتنا لهذا الجانب المشرق من جوانب وعينا بذاتنا قد جاءتنا من تعليق للدكتور على مصطفى مشرفة في يومياته وهو يستحضر أبياتا من القصيدة العمرية للشاعر حافظ إبراهيم .

نشأته وثقافته

سُمي الشاعر أحمد محرم ١٨٧٧- ١٩٤٥ باسم الشهر الهجري الذي ولد فيه، ومن الطريف أن أباه كان قد سمي أخاه الأكبر محمد صفر لولادته في شهر صفر. وكان هذا الشاعر من أصول تركية من ناحية والده و والدته لكنه كان محبا للإسلام ولدولة الخلافة الإسلامية بأكثر من الترك ، و من العرب المعاصرين له ، و يتميز حبه للدولة العثمانية عن حب الشاعر أحمد الكاشف ١٨٧٨- ١٩٤٨ المعاصر له (الذي ولد بعده بعام و توفي بعده بثلاثة أعوام) في أنه كان متعلقا بفكرة الإسلام والخلافة الإسلامية على وجه العموم بأكثر من التعلق بالحالة المرتبطة بالعثمانيين على وجه الخصوص .

ولد الشاعر أحمد محرم بن حسن عبد الله يوم السبت ٥ من المحرم سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ٢٠ من يناير سنة ١٨٧٧، في قرية إبييا الحمراء، مركز الدلنجات، محافظة البحيرة، في أغلب الأقوال، وتنفرد سيرة ذاتية نشرها له الأستاذ أحمد عبيد (١٩٢٢) في كتابه «مشاهير شعراء العصر» بالإشارة إلي أنه ولد في مدينة القاهرة في باب الوزير (بقسم الدرب الأحمر) وقد عاش بعض طفولته في القاهرة ثم انتقلت الأسرة إلي ريف البحيرة.

تكوينه الفكري المتميز

نال الشاعر أحمد محرم في طفولته قسطا وافرا من التعليم الديني والمدني معا، حيث عني والده بتربيته وتعليمه وتحفيظه القرآن وتعليمه النحو والعروض واللغة، وكان هذا الوالد يمتلك مكتبة حافلة بكتب الأدب، وكان الشاعر منذ صباه يبدو محبا للأدب حبا فطريا، عاشقا لفن الشعر، ذواقا، وقد قرر بموافقة أهله أن يترك التعليم الرسمي بالمدارس الحكومية ليتزود بثقافة أرفع من مستوي نظرائه، وليغذي موهبته الشعرية، وما تستدعيه هذه الموهبة من إخلاص للإبداع والنظم، وشغف بحفظ النصوص الأدبية كما شغف بدراسة السيرة النبوية والعلوم الدينية.

ولم يكد الشاعر أحمد محرم يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتي كان اسمه قد عُرف على نطاق واسع بفضل نجاحه في مراسلة الصحف السياسية والمجلات التي كانت تنشر له كتاباته المتميزة التي كان يبعث بها مستنداً إلي عقلية روتها ونمتها معرفة عميقة بالتاريخ.

الاعتراف المبكر بشاعريته أقتعه بالتفرغ للشعر

اشترك الشاعر أحمد محرم في مسابقة شعرية (في ١٩٠٢) في عيد جلوس الخديو عباس حلمي الثاني ١٨٧٤ - ١٩٤٤ فظفر فيها بشهادة الامتياز، وعلى مدي حياته التالية نال الشاعر أحمد محرم خمس عشرة جائزة في مسابقات شعرية ونثرية نظمتها الصحف والمجلات، وقد كان الاعتراف المبكر دافعا للشاعر أحمد محرم أن يعيش حياته للأدب فقط، وبالطبع فإنه لم ينل منه إلا ما كان يكفيه بالكاد، ولما دعت بعض الصحف إلي العمل فيها أحس في نفسه رغبة في البعد عن العمل الدائم بالصحافة من أجل التفرغ للشعر حبا ودراسة ونظما، لكنه ظل يكتب، وهو في دمنهور، مقالة واحدة في كل أسبوع، وكانت تلك المقالة مورد رزقه، إذ كانت تدر من الأجر أو المكافأة ما لا يناله غيره من الذين يكتبون في الصحف كل يوم، ومع هذا فقد كان حريصا علي أن يكتب في صحف الحزب الوطني متطوعاً.

جهده في مجلة «الصدق» في دمنهور

وقد عوّض الشاعر أحمد محرم الانصراف عن الصحف القاهرية بأن ركز جهده في مجلة «الصدق» التي كانت تصدر في دمنهور، وجعل من هذه المجلة مدرسة أدبية فأصبحت من أرقى المجلات، وكانت صفحاتها الأدبية تضارع أكبر الصحف، بفضل ما كان هو يوليها من عنايته، وقد جعلها منبرا يقدم فيه الشعراء الناشئين.

وبعد أن قضى فترة في ريف البحيرة انتقل للمعيشة في دمنهور وفيها عاش حياته وتوفي ودفن.

قيمته الفائقة عند النقاد

علي الرغم من أن اسم الشاعر أحمد محرم لا يحظى بالإلحاح المباشر في الكتابات الأدبية والنقدية المعاصرة، فإن النقاد ومؤرخي الأدب المنصفين يعدونه واحدا من أهم شعراء عصر البعث الذين تمكنوا من الصياغة الشعرية وإعادتها إلي مستواها الرفيع في عهد الفحول.

كان الشاعر أحمد محرم في شعره نموذجا للأصالة فقد خلق شاعرا مطبوعا وعبقريا موهوبا، كما أن ملكته الفنية ظهرت وهو لا يزال في باكورة شبابه، وقد شهد له بذلك النبوغ المبكر بعض الذين قرأوا بواكير إنتاجه، وعاصروا مرحلة حدائته، ومنهم الشاعر أحمد الكاشف الذي تولى كتابة مقدمة ديوانه الأول.

وقد تميز شعره بجودة الصياغة، وسهولة الألفاظ، وسمو المعاني، وفخامتها، كما تميز بجزالة اللفظ، وقوة الأسر، وسلامة المباني، وإحكام القوافي علي نحو لا نجده بهذا المستوى نفسه إلا في الندرة النادرين من الأعلام المعاصرين له من الجيل التالي لمحمود سامي البارودي.

وينم تراث الشاعر أحمد محرم الشعري عن ثقافة عريضة عميقة في اللغة العربية وآدابها، وتبدو ثقافته ساطعة وناصعة في ألفاظ شعره وأساليبه التي كان يخلق فيها إلى مستوي رفيع، مع ما أثبتته له النقاد والدارسون من القدرة الفائقة على إطالة النفس في كثير من شعره الذي كان يحرص فيه على القافية الموحدة في القصيدة التي تصل أبياتها إلى ما يقرب من المائة بيت دون أن يفقد المستوي الرفيع فيها كلها، ودون أن ينقطع نفسه أو يجهد.

وبالإضافة إلى هذا كله فإن شعر الشاعر أحمد محرم يمتاز بالوحدة الموضوعية، والتركيز على الأغراض النبيلة التي كان يعالجها من دون استطراد.

كان ولا يزال واحدا من الشعراء الكبار

نستطيع أن ندرك أن معاصري الشاعر أحمد محرم كانوا يعرفون له قدره، ونجد في أدبيات تلك الفترة ما يدل على أنه كان واحداً من الشعراء الأربعة الكبار في عصره مع شوقي وحافظ ومطران، وعلى سبيل المثال فقد عقد الأستاذ جميل علوش المقارنة بينه وبين الثلاثة الآخرين حيث قال : " ولعل مما يؤكد هذا المعنى الذي نريد التأكيد عليه ما حدث عندما أسس أحمد زكي أبو شادي جماعة «أبوللو»، فقد عقدت رياستها لأمير الشعراء أحمد شوقي، كما حصل الاتفاق على أن يعين الشاعران الكبيران خليل مطران والشاعر أحمد محرم نائبين للرئيس. ومن الجدير بالذكر أن حافظ إبراهيم كان قد توفي قبل تأسيس «أبوللو» بشهور قليلة، ومن الجدير بالذكر أيضا أن أحمد شوقي توفي فجأة بعد أربعة أيام من الاجتماع الأول لهذه الجماعة، وقد خلفه في رياستها خليل مطران الذي عاش حتى ١٩٤٩ بينما توفي محرم ١٩٤٥ " .

لقب بشاعر التاريخ الإسلامي

نبدأ بالقول إن أكثر الأنسجة استعمالا في شعر أحمد محرم هو التاريخ، ونحن نتفق مع كل من يلاحظون في شعر محرم سيطرة نزعات تاريخية عميقة تلم بكثير من تفصيلات التاريخ وفلسفته وروحه، ويبدو هذا طبيعيا بحكم تشبعه الوجداني بتاريخ الإسلام ومواقفه في جميع عصوره، لكن الأهم من هذا الجانب التأثري أو التأثيري أن ثنايا التاريخ الإسلامي وتفاصيله قد هيأت له رصيذا سياسيا استلهم منه المعاني والعبر، واستشهد منه بالحوادث والأمثلة، كما مثلت هذه المعرفة رافدا سيكولوجيا في روحه المعترزة بشخصية أمته.

شهادة الدكتور محمد رجب البيومي

ونحن نتفق مع أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي في أن أحدا من الشعراء لم يجاز الشاعر أحمد محرم في قدرته علي نظم أحداث التاريخ الإسلامي ، وقد كان

محرم في طليعة الشعراء المعاصرين الذين انعكست في صفحة شعرهم الروح الإسلامية عالية، والذين أنشأوا القصائد في تمجيد الإسلام، وتمجيد المثل الرفيعة التي جاء بها، وفي الإشادة بالرسول الكريم وصحابته الأبرار الذين كانوا هداة إلي الحق والعدل والتوحيد، فأناروا الدنيا وأخرجوا الناس من الظلمات إلي النور.

وباختصار غير مخل فإننا نتفق مع كل من لاحظوا أن النفحات الإسلامية كانت تغمر حياته الشعرية، وبدأت آثارها بوضوح في ديوانه الأول ذي الجزأين، وفي غيره من الشعر الذي نشر له في الصحف والمجلات.

فكرة ديوانه الأشهر «مجد الإسلام»

لم يُنشر ديوان أحمد محرم الأشهر «مجد الإسلام» إلا بعد وفاته، ويعتبر هذا الديوان بمثابة سيرة للنبي صلي الله عليه وسلم، وهجرته إلى المدينة المنورة، وحديث عن غزواته وسراياه (و السرايا لمن لا يعرف : غزوات صغيرة) ، وقد تضمن الديوان بالطبع استطرادات شعرية إلى سيرة طائفة من الصحابة والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.ومن الإنصاف للحقيقة أن نشير إلى ما رواه الدكتور بدوي طبانة من أن الشاعر أحمد محرم نظم ديوان مجد الإسلام استجابة لاقتراح الأستاذ محب الدين الخطيب (في ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٣)، وقد اقترح عليه أن «يؤلف شيئاً شبيهاً بـ «الشاهنامة» التي ألفها الفردوسي، وخذل فيها مفاخر الفرس، وغطي ببيانه المشرق على عيوبهم، وسلط على ضئيل الخير منها إشعاعاً قوياً مكبراً بأعظم المكبرات. أو بـ "إلياذة هوميروس" التي تتغني بها الإنسانية إلى هذا اليوم، وتعدّها من مفاخر الأمة اليونانية".

رواية الدكتور بدوي طبانة

ويروي الدكتور بدوي طبانة أن الأستاذ محب الدين الخطيب قد توجه بهذه الأمنية إلي أحمد شوقي قبل أن يتوجه بها إلي أحمد محرم، لكن أحمد شوقي تباطأ .

افتتاحه ملحمته بقوله : أنت معنى الوجود

وقد افتتح الشاعر أحمد محرم ديوانه مجد الإسلام بالنشيد الأول الذي سماه مطلع النور الأول من أفق الدعوة الإسلامية، وفي أوله يخاطب النبي محمداً صلى الله عليه وسلم فيقول:

أنت معنى الوجود، بل أنت سر جهل الناس قبله الإكسيرا
أنت أنشأت للنفس حياة غيّرت كل كائن تغييرا

وقد صور الشاعر أحمد محرم في هذا الديوان ما ابتلي به الرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه، وصبره على إيذائهم واستهزائهم، ثم ما عرضوا عليه من أعراض الدنيا من المال والمنصب والجاه حتى يثنوه عن دعوته إلى الله وتوحيده وعبادته، ليبقوا على سيادتهم، ويظلوا في كفرهم وضلالهم، كما لخص مواقف اليهود والمنافقين من النبي والمسلمين.. إلخ. واستوحى في هذا الديوان من روايات التاريخ ما أغناه عما لجأت إليه الإلياذة والشاهنامة من الأساطير ، وقد مزج في شعره الحماسي بين خواطره ومشاعره تجاه الوقائع التي تناولها بعقله وقلبه معا ثم صاغها ببيان شاعري مشرق ، و تناول في ذكاء وحكمة ما أثبتته كتب التاريخ عن هذه الوقائع، ومع أن ديوان مجد الإسلام يتكون من مجموعة كبيرة من القصائد التي تبدو وكأن كل واحدة منها تستقل بالواقعة التي تتحدث عنها، إلا أنها تنتظم جميعا (وكأنها فصول كتاب مرجعي) في سيرة واحدة كبيرة هي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما واكبها من أحداث فجر الدعوة المحمدية.

إيمانه ضمن له النجاة من التفلسف

نجا الشاعر أحمد محرم بنفسه وبديوانه مجد الإسلام من كثير من النزعات الفلسفية الحاكمة لمثل هذا العمل، وعلى سبيل المثال فإنه لم يندفع إلى ما كان مغريا له من أن يجعل حديثه متمحورا في نسق واحد يدير الصراع كله (من خلاله) حول جزئية واحدة أو نزعة واحدة من النزعات الإنسانية، ويرجع السبب في هذا إلى

إيمانه كمسلم مثقف و واعٍ بالجوانب المتعددة في الدعوة المحمدية وآفاقها غير المحدودة.

وبطبيعة الحال فإن بعضاً من قصائد ديوان مجد الإسلام تبدو قريبة التناول أو على حد التعبير العام سطحية غير درامية أو خالية من الحكمة الفنية المتوقعة في ظل المقارنة بمعظم القصائد في ذلك الديوان، لكن الديوان، على وجه العموم، حافل بروح دينية عميقة الإيمان واليقين بالحق.

وانظر إليه وهو يتحدث بثقة وحماسة فيقول:

إن الجبال التي في الأرض لو كفرت لما دعاه بسيف الله سيده ديار مكة أما مَنْ يسأله لاتجزعي إنه العهد الذي انبعثت	لذكها جبل الإسلام أو نسفا زاد السيوف به في عزها شرفا فلا أذى يتقي منه ولا جنفا أنواره تصدع العهد الذي سلفا
--	---

معارك النبي

يصف الشاعر أحمد محرم معارك النبي عليه الصلاة و السلام فيقول:

مشي النبي يحف النصر موكبه لم يبيق إذ سطعت أنوار غرته تحرك البيت حتى لو تطاوعه وافاه في صحبه من كل مزدلف العاكفون على الأصنام أضحكهم كانوا يظنون ألا يستباح لها نامت شياطينها عنها منعمة هوت تفاريق وانقضت محطمة ريعت جيوش قريش من قذائفها	مشيعا بجلال الله مكتنفا مغني بمكة إلا اهتز أو رجفا أركانها خف يلقي ركبها شغفا فلم يدع فيه للكفار مزدلفا أن الهوان على أصنامهم عكفا حامي فلا شممما أبدت ولا أنفا وبات ماردتها بالخزي ملتحفها كأنها لم تكن إذ أصبحت كسفا وريع منها الخزاعي الذي قذفها
---	---

مفاخرته بحبه للنبي عليه الصلاة والسلام

أظهر ديوان «مجد الإسلام» جوهر عاطفة الشاعر أحمد محرم تجاه النبي محمد صلي الله عليه وسلم وسيرته، فقد كان حب النبي محمد صلي الله عليه وسلم قد تمكن من وجدان الشاعر أحمد محرم وعقله حتى فرض على نفسه أن يحيي رسول الله صلي الله عليه وسلم في كل عام بقصيدتين في مناسبتَي الهجرة الشريفة والمولد النبوي، هذا فضلا عن قصائد متعددة في ذكريات غزوة بدر وذكرى الفتح. ونحن نراه يصور شعوره العميق بعجز الشعراء، وهو منهم، عن الوفاء بحق رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقول:

أنت المجال الرحب تُعْتَصِرُ القوي	فيه وتمتحن الجياد السبق
حساناً منبهراً، وكعباً عاجراً	والنابغ الجعدي عانٍ موثق
أطمعتهم فتجاوزوا فيك المدى	وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لي عذرهم أنت من عدة المني	إلا وراء مخيلة ما تصدق

وامتد حب الشاعر أحمد محرم للنبي عليه الصلاة والسلام إلى أنبياء الله عليهم صلوات الله فنظم معلقة طويلة في قصص الأنبياء ابتدأها بقصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة، وأشار فيها إلى قصص الأنبياء على نحو ما ورد ذكرهم في القرآن الكريم.

إيمانه بالجامعة الإسلامية وخيبة أمله في أتاتورك

كان الشاعر أحمد محرم ميالا إلى نصره الخلافة العثمانية لما كان يراه من أنها تمثل قيمة دينية . وقد مدح الشاعر أحمد محرم السلطان العثماني من منطلق الإيمان بمقامه الديني حاثا علي الحفاظ علي الجامعة الإسلامية، كما أن له قصائد في الفخر بالمعارك الحربية التي خاضها العثمانيون مع اليونانيين، وقد بالغ في مديح أداء العسكريين الأتراك في هذه المعارك و كان ، كجمهور المسلمين ، يغلب عليه الظن بأن هؤلاء العسكر الأتراك قادرون علي الحفاظ علي مجد الدولة الإسلامية، كما ندّد

في أشعاره بالخارجين علي دولة الخلافة والمتمردين عليها، و لهذا السبب فقد كان من الطبيعي بعد هذا أن يتألم لما حدث في مرحلة لاحقة من انقلاب أتاتورك والكماليين علي الخلافة العثمانية واضطهادهم لرجال الدين الإسلامي، ومحاربتهم للعواطف الدينية، وقد نظم في الأسف علي سقوط الخلافة العثمانية ملحمة طويلة طبعت في كتاب مستقل أشار أستاذنا الدكتور رجب البيومي إلي أنه كان يحتفظ بنسخة منه.

كان يعتبر العرب عثمانيين مثلهم كمثل الترك

ومن المهم أن ننتبه إلي الاختلافات الكثيرة التي تشوب كتابات مؤرخي الأدب العربي فيما يتعلق بموقف الشاعر أحمد محرم من العثمانيين، وبعيدا عن أن نستغرق وقت القارئ في ذكر الآراء والآراء المناقضة التي سبقتنا في هذا الموضوع ، فإنه يمكن لنا أن نلخص موقفه في القول بأنه كان محبا للعثمانيين، لا لأنه تركي في الأصل من ناحية أبيه وأمه فحسب (علي نحو ما يري البعض)، ولكن لأنه كان يري دولة العثمانيين دولة خلافة تسع العرب والترك وغيرهم، وقد عبر هو نفسه بصراحة ووضوح عن التنازع في نفسه بين العرب والأتراك ، حيث عبر عن ولائه لبني عثمان فجعلهم بذكائه وصدقته «عتره» يضمون العرب والترك معاً.

تحية دستور العرب والترك

ظهر هذا المعني الذكي بكل وضوح في قصيدته التي نظمها في تحية «الدستور العثماني» حيث جعل كلا من العرب والترك من «بني عثمان» وهي الفكرة التي عشنا حياتنا نتعجب من تخطي العرب لها وظنهم الواهن أنهم ليسوا بعثمانيين مع أنهم كذلك، وهو يخاطب قومه المسلمين بهذا المعنى في هذه الأبيات:

يا آل عثمان من ترك ومن عرب	وأي شعب يساوي الترك والعربا
سوسوا الخلافة بالشوري ولا تدعوا	لفتنة في نواحي الملك مضطربا
صونوا الهلال وزيدوا مجده علما	لا مجد من بعده إن ضاع أو ذهب

كان مثالي النزعة في السياسة

يمكن لنا القول من دون مبالغة ولا تعسف بأن الشاعر أحمد محرم كان مثاليا في نزعاته القومية والسياسية، كما كان ذا وعي يبدو أنه وعي فطري أو منطقي فيمن يدرسون التاريخ على حقيقته وعلى اتساعه قبل أن يتأدلجوا بأية أيديولوجية محدودة الفكر، ويندر أن نجد حتى بين شعرائنا من العرب الأقحاح (لا من ذوي الأصول التركية كما هو الحال في محرم) مَنْ تمتع بوضوح الرؤية والتعبير عنها على هذا النحو المبين.

وبهذا المنطق نستطيع أن نفهم كل ما نظمه الشاعر أحمد محرم وانفعل به في حديثه عن حبه لدولة الخلافة الإسلامية، أوفي هجومه على مَنْ ثاروا على فكرة هذه الخلافة، أو علي دولة الخلافة من أمثال الشريف حسين وأبنائه.

نستطيع أن نكرر أيضاً ما أشرنا إليه من أن ثقافة الشاعر أحمد محرم التاريخية العميقة والواسعة كانت بمثابة رافد من روافد الوعي السياسي الذي جعله يسبق غيره من الشعراء إلى اكتشاف ما لم يكتشفوه مما نعرفه اليوم على أنه من حقائق التاريخ وأساسيات الفكر السياسي. ونحن نقرأ للشاعر أحمد محرم في شعر مبكر دفاعه عن «بني عثمان» كما يسميهم في مواجهة قومه من العرب المناوئين لهم، وذلك على الرغم من أن أحمد محرم نفسه بشاعريته وإقامته وثقافته كان واحداً من هؤلاء العرب، وهو يقول بكل وضوح:

لولا بنو عثمان والسنن الذي
سطعوا بأفاق الخلافة فانجلى
فهم ولاية أمورها وكفاتها
خالفت في حبها قومي الألى علمت
قالوا: هبلت! أتبعي بينهم نسبا؟
فقلت، والشعر تمنيني روائعه
شرعوا لما وضح السبيل الأقوم
عنها من الحدثان ليل مظلم
وهم حماة ثغورها، وهم هم
واحيرتا اليوم بين الترك والعرب
هيهات! مالك في الأعراب من نسب!
لولا الأعراب قد عريت من أدبي

ميله السياسي للحزب الوطني

أما عن اتجاه الشاعر أحمد محرم السياسي في مرحلة الملكية و الحزبية فقد كان من الطبيعي أن يكون أميل إلى اتجاه الحزب الوطني، لكنه مع هذا ظل بعيدا عن ممارسة التحزب والسياسة.

حماسه لنصرة الليبيين وفهمه للسياسة الدولية

لم يقف الوعي السياسي للشاعر أحمد محرم في تلك الفترة المبكرة من حياته عند هذه الحدود المتعلقة بالانتماء وحده ، وإنما تعداها إلى فهم أعمق وأعرض لحقائق الصراع الدولي في تلك الفترة.

فقد كان له موقف واضح وصريح من الاتجاهات الموالية للاستعمار الغربي أو المتقبلة له أو المنبهرة بسلوكياته، وقد تناولت أشعاره بالنقد اللاذع سياسات الدول الممثلة للحضارة الغربية على اختلاف قومياتها، وما شهدته حروبها وانتصاراتها وصراعاتها من وحشية وفظائع، وقد عقد المقارنات في شعره بين هذا السلوك الغربي الوحشي وبين سلوك الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر.

وفي قصائده التي نظمها عند اندلاع الحرب الإيطالية البربرية ضد مواطني ليبيا العزل، نجد الشاعر أحمد محرم وقد أكثر من اللجوء إلى أمجاد الإسلام كي يستدعيها في مواجهة الظلم الذي واجهته شعوب المسلمين.

الحرب الوحشية في طرابلس

ولا شك في أن الشاعر أحمد محرم كان في طليعة الشعراء الذين عبروا عن ضراوة الحرب الليبية وأهوالها، واستنفرُوا المسلمين في كل مكان لنجدة إخوانهم في ليبيا، وفي ديوانه كثير من القصائد التي تتناول مراحل هذا الصراع الذي شخصه تشخيصه الصحيح على أنه بين أوروبا والشرق.

ونحن نراه في قصيدته "الحرب الوحشية في طرابلس" يستنفر جموع المسلمين للقاء المستعمر الإيطالي، ويذكرهم بما أبلاه السلف، ويستنهض هم المسلمين المعاصرين بذكر بطولات محددة وعظيمة قام بها السلف الأول من المسلمين، بل إنه يسأل عن هؤلاء الأبطال الأوائل بالاسم وما ينبغي أن يكون لهم من صدى البطولات التي ينبغي أن يكررها الأحفاد، وهو يقول:

أين ابن عم رسول الله يطفئها	حربا على كبدي من نارها شرر؟
أين اللواء؟ وخيل الله يبعثها	عمرو، ويصرخ في آثارها عمر؟
أين المقاديم من فهر ومن مضر	ومن قریش وأين السادة الغرر؟
أين الملائكة الأبرار يقدمهم	جبريل يستبق الهيجا ويبتدر؟

ثمار البطولة

وبصور الشاعر أحمد محرم ثمار عمل هؤلاء الأبطال وبطولاتهم تصويراً جميلاً وموحياً يكرر فيه لزوم ما لزمه من استخدام أداة الاستفهام أين في أول كل بيت من هذه القصيدة الرائية الحماسية الجميلة ذات الروح الحماسية والنبز المضموم الموحى بالتقدم للأمام:

أين المعامع ترقص الذفوس بها	هلكي ويستن فيها النصر والظفر؟
أين الوقائع تهتز العروش لها	رعبا وتنتفض التيجان والسرر؟
أين القياصر مقهورين لا صلف	ومن قریش وأين السادة الغرر؟

حرمة بيت الله الحرام

وعلي هذا المنوال ينسج الشاعر أحمد محرم بقية قصيدته فيتحدث عن حرمة بيت الله الحرام على سبيل المثال ويقول:

أيطرب البيت أم تبكي جوانبه	حزنا ويعول فيه الركن والحجر
ويح الحجيج إذا حانت مناسكهم	ماذا يري طائف منهم ومعتمر
أين الحماة وقد ضاعت محارمنا	أين الكفاة؟ أين الذادة الغير؟

أين النفوس ترامي غير هائبة؟ أين العزائم تمضي ما بها خور؟
أين الأكف يفيض المال مندفقا منها كما اندفقت وطفاء تنهمر؟

يعبر عن تشوقه لرؤية لأبطال القادرين

ويصل الشاعر أحمد محرم في النهاية إلى أن يتمني على الله أن يجد بعض هؤلاء القادرين على الانتصار و تحقيق الآمال فيقول:

مَنْ لي بهم معشرا صيدا غطارفة ما ضيعوا ذمة يوما ولا غدروا
إن أدعهم لـجـلاء الغمرة ابتدروا وإن أصح فيهم مستنفرا ذفروا

هل كان ماضويا بعاطفته أم كان ميالا بعقله للماضي المجيد

و لعل هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت إنتاج الشاعر أحمد محرم يحفل بما يمكن أن يسمى أو يوصف بأنه نزعة «ماضوية» تتمني لو عادت أمته إلى مجدها كي تتخلص من نير الاستعمار و تنهي نوائبها التي أصابتها على يديه ، وذلك حيث يقول على سبيل المثال:

تفاقمت الخطوب فلا رجاء وأخلفت الظنون فلا وثوق
تطالعنا السنون مروعات ونحن إلى أهلتها نتثوق
يمر العهد بعد العهد شرا فأين الخير والسعد الأنيق؟
نوائب روع التنزيل منها ورج القبر والبيت العتيق

يرى أن في الدين حل للمشكلات

كان الشاعر أحمد محرم يمّني نفسه بصورة هذا الواقع «أو الماضي» المجيد الذي كان يراه قابلا للعودة أو للتكرار لو أن أهله عادوا إلي سيرة أسلافهم العظماء، ولهذا السبب فقد ظل الشاعر أحمد محرم يتبني في أشعاره التعبير عن الاتجاه المنادي بضرورة العودة إلي الدين والالتزام بتعاليمه الخلقية من أجل القضاء علي مشكلات المسلمين في العصر الذي عاشه:

أري فسادا وشرا ضاع بينهما
الدهر مغتسل من ذنبه بدم
قوم إذا ما دعا داعي الهدى نكصوا
لم يبق من محكم التنزيل بينهم
ضاقت بهم طرق المعروف واتسعت
ضج الصباح لما لاقت طلائعه
أمرُ العباد فلا دين ولا خلق
والأرض بالنار ذات الهول تحترق
وإن أهاب بهم داعي الحمى استبقوا
إلا المداد تراه العين والورق
ما بين أظهرهم للمنكر الطرُق
من سوء أعمالهم واستعبر الغسق

انشغاله بفكرة إعادة بناء الدولة الإسلامية

نعود فنقول إننا لا نستطيع أن نفهم مضامين الخطاب الشعري للشاعر أحمد محرم من دون أن ندرك حقيقة التطورات السياسية التي عاشها واكتوي بنارها المستعرة، ذلك أن هذا الشاعر عاش فترة انحلال الدولة الإسلامية على أيدي المتربصين بها، ثم عاش الحقبة التي شهدت تكرار الظلم الذي حاق بكل قطر من الأقطار الإسلامية بعد انفراط عقد الخلافة، بل منذ أن أشرف هذا العقد على الانفراط.

كان الظلم الذي حاق بالمسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أكثر ما أثار شاعرية أحمد محرم، وحفزه إلى التغني بأمجاد الدين الإسلامي، وعظمة أتباعه، وإلى الدعوة إلى استعادة الأمجاد الإسلامية، ولهذا فإنه شغل عقله ووجدانه (ومن ثم شعره) بالبحث عن طريقة أو آلية لتجديد البناء الذي قوضته الأحداث.

ولم يكن من الصعب على الشاعر أحمد محرم بحكم نشأته ومعارفه أن يتوصل بتفكيره إلى أن هذا الطريق يتمثل في المقام الأول في اقتفاء آثار السلف الصالح، وفي التمسك بحبل الله، وفي العودة إلى رفع راية الجهاد، وفي تعميق الإيمان بمعاني التضحية والفداء. وقد واكب كل هذا التفاعل الفكري والعاطفي بشعر جيد الصياغة صادق العاطفة أضاف به إلى إنتاجه وموهبته، كما أضاف به إلى الرصيد الروحي لوطنه و مواطنيه.

اتجاهه إلى شعر العقيدة

ها نحن رأينا أمثلة حية على أن الشاعر أحمد محرم أجاد فيما نظمه من شعر العقيدة وأبدع، بل كان إماماً لمعاصريه في هذا الميدان بما بثه من آيات الإيمان والحث على الاعتصام بحباله والتأدب بأدابه، وتصوير الإيمان والأخلاق في صورة أهم الأسباب القادرة على بناء الوطن وتربية الشعب.

أشعاره الوطنية

لا شك في أن شعر الشاعر أحمد محرم الوطني غزير ومتنوع، ذلك أنه مع كل هذا الإيمان بالإسلام وأصالته ودوره كان في مقدمة شعراء الوطنية الأوفياء الذين ثبتوا على رأيهم في الإيمان بفكرة الوطن وفي الإيمان بحق الوطن، والدفاع عن حماه بكل ما هو ممكن، وفي مقدمة هذا «الممكن» و«المندوب» كان محرم يري رسالة «فن الشعر» الذي ملك ناصيته.

والواقع أنه بلغ به الذري في التعبير عن الحب العميق للوطن وأبنائه، وعن أمنياته لهذا الوطن، وعن دفاعه عن الوطن في مواجهة المغرضين والمخربين.

قصيدته الشهيرة في الرد على مزاعم لورد كرومر

كانت فكرة الوطن واضحة ومحددة عند الشاعر أحمد محرم، لكنه بالإضافة إلى هذا الوضوح الفكري كان مدركاً لموقف الغرب من الشعوب التي تدين بالإسلام، ومحاولة بعض سياسيي الغرب الإلقاء على الإسلام كدين بتبعية مشكلات هذه الأوطان كما كان من أوائل من انتبهوا إلى فكرة الفارق بين تعاليم الإسلام وبين تطبيق المسلمين المتفاوت لهذه التعليمات، ولهذا فإنه لم يكن يعتقد أي وجه للصواب في رأي المعتمد البريطاني لورد كرومر الذي كان يلقي بالتبعية في تخلف المسلمين على الإسلام نفسه.

وقد بلغ الشاعر أحمد محرم الذروة فيما نظم من الشعر الذي ناقض به هذه الفكرة وناهضها، فجاءت قصيدته التي عنوانها «كرومر والإسلام» آية من آيات المنطق المنضبط ، وقد نصب نفسه فيها مدافعا عن الإسلام الذي لم يتخلق المسلمون المعاصرون له بأخلاقه حيث يخاطب لورد كرومر فيقول:

زعمت بنينا مزاعم كاذبات	وما يغني مقال الزاعمينا
زعمت الدين والقرآن جاء	بما يشقي حياة المسلمينا
رويدك أيها الجبار فينا	فبئس الحكم حكم القاسطينا
وهنا أمة في الجهل غرقى	وشعبا في مهانتة دفينا
أدين الله يأمرنا بجهل	ويوجب أن نذل ونستكيننا؟
سل الأحياء والموتى جميعا	أكننا أمة مستضعفيننا؟

الرد الموضوعي على لورد كرومر

و في هذه القصيدة وظف الشاعر أحمد محرم شاعريته وعبقريته الفنية وعقليته الجدلية في تفنيد دعاوي لورد كرومر مذكرا بتاريخ المسلمين الحافل بالبطولات التي غيرت وجه الحضارة الإنسانية، ومذكراً بشجاعة القادة والحكام المسلمين، ومشيرا إلي روح العلم الذي نقله الغرب من الإسلام، وأثار لهم طريق الحياة، ورسم السبيل إلي الحضارة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا لاتزال في العصور الوسطي تعيش حالة من الظلام:

ليالي يبعثُ الإسلامُ منا	عزائم تُخضع المتغترسينا
نثُلُ عروش جبارين غُلبا	ونجتثُ الممالك فاتحيننا
وقائعُ ترجفُ الدُّولات منها	ويذكرها القياصر صاغرينا
تركنا الدهر ينتفض انتفاضاً	وغادرنا الخلائق ذاهليننا
ببأسٍ لا كفاء له وعلم	جلا الغمرات واكتسح الدجوننا
ليالي ظلل الأقوم جهل	أضلَّهُمُ ظلُّوا حائريننا

الرشد في الدين وحده

ويختم الشاعر أحمد محرم هذا المقطع ختاماً رائعاً ينسب فيه الرشد إلى الدين على سبيل القصر:

سَنَنَّا الرشد للغاوين طرا ولولا الدين لم نـكُ راشدينَا

وفي هذه القصيدة يلتفت الشاعر أحمد محرم إلى مخاطبة لورد كرومر مشيراً إلى خذلان بعض رجال الإسلام لدينهم:

ولولا معشر خذلوه منا لكننا السابقين الأولينا
أترعم ما جني الجهلاء ديننا وتأخذنا بذنب الجاهلينا؟
رويدك أيها الجبار فينا فما أنصفتنا ديننا ودينا

ثم يمضي الشاعر أحمد محرم في سبيله هذا خطوات أخرى فينتقد حكام البلاد الذين يصدرون في حكمهم عن إرادة العدو المحتل والضالعين معهم ويصفهم بأنهم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وهانت عليهم كرامتهم.

شاعر الوحدة الوطنية

على نحو ما تفوق الشاعر أحمد محرم في وضوح رؤيته لقيمة الخلافة الإسلامية، وتصويره الذكي لجوهر العلاقة الأخوية بين العرب والترك، فإنه تفوق تفوقاً ساحقاً في الحديث الذكي عما نسميه الآن «الوحدة الوطنية».

وبلا جدال، فإن الشاعر أحمد محرم كان بمثابة أول الشعراء الذين استشرّفوا الأمل في وحدة وطنية حقيقية تصون للوطن في مصر قدسيته وحقوقه، وكانت أشعاره القوية إرهاباً ذكياً لما حدث بعد هذا حين اندلعت ثورة ١٩١٩، وارتقي الأقباط منابر الخطابة في الجامع الأزهر الشريف، ولهذا كان الشاعر أحمد محرم في ذلك الوقت أسعد الناس بتحقيق فكرته وتجسدها على هذا النحو المبين على أرض

الواقع، وقد سجل بعض مشاهد الوحدة الوطنية التي أثمرتها ثورة ١٩١٩ في قصيدته الشهيرة «مصر في حرم الله» حيث يقول:

مرحبا بالإخاء في حرم الله
حي آل المسيح يا بيت، واقض الحد
اكتب العهد بيننا واجعل المصد
حسبنا الله لا نريد سواه
إن عقدنا عرا الوفاء لمصر
فهي لله حرمة من يصنها
وأهـلا بقومنا الصالحينا
قـ عن آل «أحمد» أجمعينا
حف خير الشهود فيهم وفينا
من كفيل ولا نريد ضمينا
وجعلنا الإخاء دنيا وديننا
يحيي في ظل الظليل مصرنا

النيل كرمز للوحدة الوطنية

وعلى عادته فإن الشاعر أحمد محرم يجيد بلورة أفكار مقطع كامل من شعره في بيت حاسم يودع فيه خلاصة ما وصل إليه ودعا به، وهو هنا يقول بصوت عال:
إن من عـق من بني النيل مصرا عـق آباءه وخان البنينا

قصائده في محاربة الفتنة الطائفية

من المثير للإعجاب والتقدير أن نجد لهذا الشاعر درراً مبكرة حافلة بالمنطق والبيان المعبر عن الوجدان النقي يدعو فيها أبناء مصر بكل إخلاص إلى القضاء على الفتنة الطائفية التي أطلت برأسها في العصر الذي عاشه.

والحق أن أحدا من دعاة الإسلام والعروبة لم يلتفت إلى قضايا الوحدة الوطنية وأخوة الأقباط المصريين للمسلمين على هذا القدر وبهذا المستوي من الإعجاز الشعري والبياني الذي أنجزه أحمد محرم، وقد انتبه هذا الشاعر الوطني الضخم مبكراً إلى محاربة الفتنة الطائفية التي حاول الإنجليز بثها في عهد السير جورست، وكان من أوائل الذين التفتوا إلى معاني التسامح الديني والوحدة الوطنية عبر تاريخ مصر الطويل وعبر عنها في أشعار رائعة.

وللشاعر أحمد محرم أكثر من قصيدة في هذا الميدان، منها:

- «الحفاظ الوطني» وهي بائية
- «الإخاء الوطني» وهي من قافية الرء
- قصيدة ثالثة من قافية الكاف
- «الخلف واللجاج»، وهي قصيدة ميمية
- «بين المأربين» وهي قصيدة ميمية أيضا
- هذا فضلا عن نونيته الشهيرة «مصر في حرم الله».

الحفاظ الوطني

في إحدى روائعه وهي قصيدته البائية التي جعل عنوانها «الحفاظ الوطني» يقول هذا الشاعر الوطني المفكر بوضوح واعتزاز إنه هو وأصوله وفروعه وما تملك يده ليس إلا ملكا لمصر العزيزة عليه، المستحقة لوجده وولائه:

مصر الحياة، وحبها الشرف الذي بطرازها العالي أدلّ وأعجب
نفسي وما ملكت يداي لأمتي وسرارة آبائي، ومَنْ أنا منجب
علمتهم حب البلاد أجنة وذوي تمانم ينصتون وأخطب

مناجاة الوطن كمعشوقة

وفي قصيدة أخرى يخاطب الشاعر أحمد محرم وطنه مصر كما لو كان عاشقا متيما يناجي معشوقته ، وهو يستعرض في رشاقة عددا من الصور المعبرة التي ينبغي أن يكون عليها ولاؤه لهذه المعشوقة:

أي حـق من قبل حقك يقضي ودمـام يـصـان قبل ذمامك
بـارك اللـه في بنيك وطوبي لسـعيد يـكـون من خدامك
ما مقام الحياة في النفس إلا دون ما ينبغي لعالي مقامك
نـعمة العيش من أياديك عندي وجمـال الحـياة من إنعامك
لو بذلنا النفوس فيك كـباراً ما قضينا القليل من إكرامك

فكرة ارتباط المصير بالوحدة الوطنية

ويبلور الشاعر أحمد محرم في قصيدته البائية فكرته الوطنية في بيت من أبيات
الحكمة الجميلة:

ليس الشقاء بزائل عن أمة حتي يزول تفرق وتحزب

ثم هو يتبع هذا البيت بأمنية يتمناها علي الله، وهو يراها جديرة بالتحقيق:

مَنْ لي بشعب في الكنانة لا القوي تنشق منه ولا الهوى يتشعب
متألب يبغي الحياة كأنه جيش على أعدائه يتألب

فكرة الإفادة من التجارب

كذلك نرى الشاعر أحمد محرم وهو يؤكد في قصيدته «هذا السبيل» على التعبير
الجاد عن دعوته المخلصة بالاتحاد التي يوجهها إلى أبناء وطنه مطالباً بالاعتبار من
الحوادث، والإفادة من التجارب:

إيه بني مصر أما وعظتكم ما تصنع الأحـدات والأيام
إيه فقد طمت الخطوب وهالنا منها ركام يعتليه ركام
إيه فقد أشقي النفوس جمالها وأضلها التـمويه والإيهام
خلق يهـب الشر منه وترتمي فتن تـروع الأمنـين جسام
سوسوا أمـوركم سياسة حازم فلعل معـوج الأمور يقام
أسفي على المتباغضين وقد رأوا أن الفلاح تـودد وئام
شرعوا العداوة بينهم لم يوصهم دين المسيح بها ولا الإسلام

إيمانه بحتمية الإخاء الوطني

على هذا النحو كان الشاعر أحمد محرم يعبر عن حالة الوجد التي تجمع
المصريين من أقباط ومسلمين، وهو يري هذا الانصهار أمراً حتمياً كالإيمان الذي
لا يصيبه التغير ولا التحول، وهو يقول في قصيدته "الإخاء الوطني":

تنسي، ويعطفنا الإخاء فنذكر
إننا، لعمر اللائمين على الهوى،
نرضي الأحبة لا نراقب بعدهم
يا من يحاول أن يغير عهدنا

والحب يُطوي في القلوب ويُشر
لنري سواء من يلوم ويعذر
أهواء مَنْ يرضي ومَنْ يتذمر
انظر إلى الإيمان هل يتغير؟

.....
الدهر يشهد والحوادث أننا
إخواننا الأذنون يجمع بيننا
يا أمة الإنجيل إننا أمة
درجت على ذم خوالد لم تزل

لسوي الوفاء لقومنا لا نؤثر
عهد أبر وذمة ما تخفر
في مصر واحدة لمن يتدبر
تمضي القرون بها وتأتي الأعر

نموذج من حديثه الشعري إلى الأقباط المصريين

يخاطب الشاعر أحمد محرم أبناء وطنه من الأقباط في قصيدته «الخلف واللجاج»
خطابا محبا عطوفا صريحا ينبئهم فيه عن حقيقة موقف إخوانهم المسلمين منهم على
مدي التاريخ، مثنيا على سلوك الطرفين ووفائهم لهذا العهد:

يا أمة القبط والأجيال شاهدة
هذي مواقفنا في الدهر ناطقة
إن يختلف منكم في الأمر مختلف
لا تظلموا الدين، إن الدين يأمرنا
منا ومنكم رجال لا حلوم لهم
أنتم لنا إخوة لا شيء يبعدنا
ليس اللجاج بؤدن من رغائبنا

بما لنا ولكم من صادق الذم
فاستتبئوها تريحنا من التهم
فما لنا اليوم غير الله من حكم
بما علمتم من الأخلاق والشيم
ولا يفئون للأديان والحرم
عنكم على عنت الأقدار والقسم
ولا الشقاق بمُجدينا سوى الندم

ضرورة التصدي للدعوى الغربية الكاذبة

وعلى النهج نفسه فإن الشاعر أحمد محرم في قصيدته «بين المأربين» ينبه
بوضوح إلى ضرورة التصدي للدعوى الكاذبة التي يروجها الغربيون والتي لا يمكن
لها أن تمس حقيقة العلاقة الثابتة بين الأقباط والمسلمين منذ عهد الرسول صلي الله
عليه وسلم:

كذب الوشاة وأخطأ اللوام
حب تجد الحادثات عهده
وصل المقوقس بالنبي حباله
وجرى عليه خليفة خليفة
لا تنشده العهد المؤكد بيننا
مدوا القلوب مصافحين بموقف
عقدت يد الله القوي حباله
طرف على كف «المسيح» يمهده

أنتم أولو عهد ونحن كرام
وتزيد في حرمانه الأيام
فإذا الحبال كأنها أرحام
وإمام عدل بعده فإمام
النيل عهد دائم وذيمام
عكف الصليب عليه والإسلام
والرسل والملأ العلي شهود
طرف بكف «محمد» مشدود

موقفه من الزعماء الوطنيين

كانت علاقة الشاعر أحمد محرم بزعماء الحركة الوطنية ، كما يقول الدكتور بدوي طبانة محكومة بذلك الإطار من الوفاء المطلق للأمني الوطنية التي تتلخص في الحفاظ على تراب الوطن، ووحدة أراضيه، وسياده أبنائه على بلادهم.

قصائده في تحية الزعيم سعد زغلول باشا

حيا الشاعر أحمد محرم الزعيم سعد زغلول باشا مبكرا حين تولي وزارة المعارف (١٩٠٦) بقصيدة عصماء من قافية الفاء الرقيقة الراقية الموحية بالهدوء المنتج ، وعبر عن أمله وآمال المصريين في أن يتولى رعاية العلم والمعرفة:

إن المناصب للأقوام تجربة
لا يعتلي منصباً إلا ليجعله
وإنك المرء أسس بالعلا كلفا
إلي المحامد مرقاة ومزدلفا

وقد حرص الشاعر أحمد محرم في قصيدته التي هنا بها سعداً بتولي الوزارة على أن يذكره بواجبه في إحياء العلوم الكفيلة بصياغة المجد الوطني:

وكل بها العلم إذ أصبحت مالكة
أطلق دبائس منه طالما جزعت
أحبس الماء عن ظمان لو برقت
يا سعد، أنعم به فألا وكان لنا
ولا تخف فيه سرفا ولا جنفا
واستشعرت لتمادي حبسها أسفا
له منيته في الماء ما صدفا
أوفى وأصدق فأل في الدنيا عرفا

وقد بلغ الشاعر أحمد محرم بسعد زغول باشا الذري في مديحه له في ثورة
١٩١٩.

معارضته لأحد قرارات زعيم الأمة

لكن هذا الحماس لسعد زغول باشا وزعامته لم يمنع الشاعر أحمد محرم من أن
يوجه بعض النقد إلى بعض مواقف سعد فيما تلا نجاح الثورة ومنها قوله المشهور
في ذم أحد القرارات:

خذه إلى المقابر فادفنوه وقولوا للرئيس لك البقاء!

ويرى أستاذنا الدكتور بدوي طبانة في هذا الموقف آية من آيات وطنية الشاعر
أحمد محرم وتجرده من الأهواء أو الوقوع في شرك الحزبية التي تعمي عن الحقائق
وتنظر إلي الرجال أكثر مما تحكم عليهم بالأعمال.

مديح الخديو عباس حلمي

نظم الشاعر أحمد محرم في شبابه قصيدة ذاع صيتها هي قصيدته «عظمة الملك
وجلال الأدب في ساحة العباس الكبرى»، في مدح الخديو عباس حلمي الثاني، وقد
ضنّ عليه رجال الحاشية والحكومة بإلقائها بين يدي الخديو في زيارته لمدينة
دمنهور، فنشرها في جريدة المؤيد.

شعره الاجتماعي : دعوته لتعليم المرأة

عنى الشاعر أحمد محرم في شعره بالإصلاح الاجتماعي ونظر إلى هذا الإصلاح
من وجهة نظر خلقية سامية تستند في جوهرها وتفصيلاتها إلى تعاليم الدين وروحه،
وقد نظم في هذا المجال أثراً شعرياً كثيرة تنطق بسمو الفكرة وجمال المعنى وبالقدرة
على الإقناع.

ومن الجدير بالذكر في هذا الميدان أن الشاعر أحمد محرم كان من الداعين إلى تعليم المرأة وتثقيفها، وقد حفل تراثه الشعري بأشعاره التي تحث على تعليم الفتاة، وتذهب إلى تأكيد الضرورة القصوى لهذا التعليم، بل إنه كان يصور تعليم الفتاة بمثابة الفيصل بين مستقبل واعد للأمة وبين النكبة التي تحيق بها إذا ما أغفل هذا التعليم:

جاهل ظن أن العلم مفسدة	للبنات فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا قرب فتاة أهلكت أسرا	بجهلها وعجز أفسدت بلدا
الأم للشعب إما رحمة وهدى	أو نكبة ما لها من دافع أبدا
لا يذهب الشعب في أخلاقه صبا	والأم تذهب في أخلاقه صعدا
لا تياسوا وأعدوا الأم صالحة	فهي السبيل إلى إصلاح ما فسدا

اختلافه مع قاسم أمين في السفور

لكننا نلاحظ أن الشاعر أحمد محرم مع هذا كان من الذين اختلفوا مع دعوة قاسم أمين إلى السفور، وقد انتقده في دعوته إلى التبرج ناصحا له بالترثيد وعدم الاندفاع:

أقاسم لا تقذف بنفسك تبتغي	لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتي أنت تبكي مصابها	لما قام للأخلاق في مصر قائم

شعر الحكمة

أما شعر الحكمة فقد كان محرم في طبيعة فرسانه، وإن لم يُعن بأن يسجل لنفسه السبق في هذا المجال بأن ينظم فيه على نحو مستقل مثلا، أو بأن يقدمه في ترتيب الأبيات على موضوعات قصائده، ونحن نرى أن هذا مما يضيف إلى شاعرية محرم، فليس أعذب من حكمة تأتي في ثنايا الحديث عن الأغراض الأخرى دون أن يتفرغ الشاعر للاستعلاء على الآخرين بما أدرك من خبرات.

والواقع أن الحكمة في شعر الشاعر أحمد محرم كانت تأتي كما يقول النقاد أقرب ما تكون إلى خيط الضوء في اللوحة المعبرة، فهي تأتي مطبوعة غير متكلفة، ويبدو

أن أكثر الأغراض التي عالجهما، وهي أغراض وطنية، وأغراض تتصل بالعقيدة والتربية والأخلاق، كان لها الفضل في شيوع هذا النوع من الحكمة في شعره، وأظن أننا رأينا هذا المعنى بوضوح فيما أوردناه في كتابنا هذا من شعره.

شعره العائلي والعاطفي

حفل ديوان الشاعر أحمد محرم بروائع من الشعر الذي عبر فيه بطريقة مبهرة عن عواطفه نحو أسرته، وهو يقول في رثاء والده:

بنيت لنا من الأخلاق صرحاً دعائمه المروءة والوفــــــــــــــــاء
نعد المكرمات لنا ثراء إذا ما القوم غرهم الثراء

ولا يخلو ديوان الشاعر أحمد محرم من درر غير مسبوقه في الشعر العاطفي الذي عبر فيه عن عاطفة الحب الصادق الذي عاناه في الحلقة الأخيرة من سلسلة حياته الطويلة.

كان مقلاً في شعر المناسبات

ومع كل هذا التجلي في هذه الافاق الشعرية السامية والرحبة فقد كان الشاعر أحمد محرم مقلاً في شعر المناسبات، وفي مديح الشخصيات الوطنية والسياسية، وذلك إذا ما قورن بأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد الكاشف وعلي الجارم .

اتجاهه إلى الأقصيص الشعرية

انتبه الشاعر أحمد محرم بشاعريته الذكية، وإدراكه الفني إلى الدور الذي كان يمكن له أن يؤديه في هذا المجال من خلال الأقصيص الشعرية التي تصور جدوى الالتزام بالخلق الكريم من خلال استعراض الصورة النقيضة لمصير المبتعدين عنه إلى النزوات العابرة التي تهدد نسيج المجتمع:

أسيت لمسرفين أعان كلاً على إدمان لذته أبـوه
إذا ما عاقر الفحشاء منهم أخو النشوات غناه أخـوه

.....

عليهم من خزاياهم سمات وما أنفوا الفجار فيجحدوه
إذا ما عنّ في الظلماء صيد تداعوا حوله فتصيـدوه
تردي بينهم فتعـاوروه إلي أن قال قائلهم دعـوه

إسهاماته في تحرير أبوللو و دراساته عن الشعراء و تقديره لأبو شادي

شارك الشاعر أحمد محرم مشاركة فعلية في تحرير مجلة "أبوللو"، فنشر في أول عدد منها قصيدة من شعر الحب عنوانها «من همومي»، وبحثاً عن أدب المرحوم السيد توفيق البكري وشاعريته. ونشر في العدد الثاني من المجلة قصيدة عاطفية بعنوان "قوة وضعف"، ونشر في العدد السابع من المجلة قصيدة وطنية حيا فيها ذكرى الزعيم مصطفى كامل، ونشر في العدد الحادي عشر دراسة نقدية: حافظ إبراهيم في الميزان. أما في المجلد الثاني فقد نشر فيه من شعره قصيدتين: تحية أبوللو في سنتها الثانية، و«ليبتني» وهي قصيدة تفيض بمعاني الفخر والشكوى. وفي المجلد الثالث نشر بحثاً عن الشاعر إسماعيل صبري، وقصيدة في رثاء شيخ العروبة أحمد زكي باشا. هكذا نرى الشاعر أحمد محرم وقد قدم في مجلة أبوللو دراسات أدبية عن ثلاثة من شعراء البارزين السابقين عليه وهم: حافظ إبراهيم و إسماعيل صبري وتوفيق البكري.

ويبدو بوضوح أن الشاعر أحمد محرم كان يبادل محرر أبوللو وسكرتير جمعيتها أحمد زكي أبو شادي تقديراً بتقدير، فألقى محاضرة عنه وعن شعره وديوانه «الشعلة» في نادي رابطة الأدب الجديد في القاهرة سنة ١٩٣٣

وفاته

توفي الشاعر أحمد محرم يوم الأربعاء ١٣ من يونيو سنة ١٩٤٥ .

الفصل الثاني : الشاعر أحمد الكاشف

الذي ظل عثمانيا طيلة حياته

الشاعر أحمد الكاشف (١٨٧٨ - ١٩٤٨) واحد من أعلام الشعراء العرب في العصر الحديث فقد حقق في شعره كثيرا من السبق والتفوق والتجويد، وكان على الدوام صاحب رؤية سياسية ورأي سياسي، كان ميالا للإنصاف في أغلب شعره حتى إنه يعد في نظرنا أفضل من أنصفوا الزعيم عرابي بعد عودته من المنفى لكنه بحكم التأثر بالمعاصرة لم يكن يتمتع بالقدر ذاته من الصواب في أحكامه على من عاصروهم من زعماء الحقبة الليبرالية.

ديوانه المنشور لا يقاس بشعره

نحب إثبات الفضل لأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي في إحياء ذكرى هذا الشاعر الفذ ودراسة حياته وشاعريته وشعره وتحقيق ديوانه أيضا، ومما نتشرف به أننا كنا حريصين على إعادة نشر ديوانه في الهيئة المصرية العامة للكتاب مع دواوين حافظ إبراهيم ومحمود أبو الوفا، ومن قبل الدكتور الجيوشي فقد كان للشاعر محمود غنيم فضل الكتابة المبكرة المفصلة عنه وقد ذكر أن جزأي الديوان علي جودتهما لا يكافئان الشهرة الكبيرة التي نالها ر، ولعل السبب هو أن شعر الكاشف فيما بعد عام ١٩١٤ يشكل الشطر الأعظم من نتاجه، ولا يزال هذا الشعر وكذلك كل نشره الفني و مقالاته الأدبية والاجتماعية والسياسية ينتظر من يتولى تحقيقه ونشره، ولعل هذا يجعلنا نبدأ حديثنا عنه بمجموعة من الشهادات المقدرة له ولشاعريته. وقد ذكر الشاعر محمود غنيم دليلا رآه من شعر الشاعر أحمد الكاشف علي صفاء نفسه، وهو ما علق به الشاعر نفسه في ديوانه على قصيدته العينية في مديح الخديو عباس حلمي والتي مطلعها : " فيك الرجاء مسلما ومودعا " حيث أثبت الشاعر

الكاشف في الهامش ما نصه: «وقد أعجب الشعراء بهذه القصيدة، حتى نسبوها لشاعر عراقي، وحتى اضطر شوقي إلي معارضتها بقصيدته العينية التي مطلعها: زد في الدلال سجية وتصنعا، فنسي القوم بقصيدته قصيدتي».

شهادة الشاعر حافظ إبراهيم و ما يرويه عن الأستاذ الإمام

كان الشاعر حافظ إبراهيم يقول إن الشاعر أحمد الكاشف شاعر مستقل في بيانه ومبدأه ووجدانه ، و كتب شاعر النيل إليه يقول: تلوت تائيتك (أي القصيدة ذات القافية التائية) علي الإمام محمد عبده فقال: إنه لشاعر.

شهادة الشاعر إسماعيل باشا صبري

وكان الشاعر إسماعيل باشا صبري يقول: إن من شعر الشاعر أحمد الكاشف ما يستحق أن يقف له القارئ إعجابا وإجلالا.

شهادة الأديب العظيم مصطفى لطفى المنفلوطي

وكان مصطفى لطفى المنفلوطي يقول: إن أحمد الكاشف هو الشاعر الوحيد الذي عرفت وعرف الناس من أمره أنه إذا نطق فإنما ينطق بلغة نفسه، وإذا حدث فإنما يحدث عن حسه.

رأي منصف أمير الشعراء

وبالإضافة إلى كل هذا فقد كان أحمد شوقي أمير الشعراء يقول: إن الشاعر أحمد الكاشف أتقن تقليده في القصص الشعري الذي أجراه على السنة الطيور وأنواع الحيوان.

شهادة الكواكبي

أما عبد الرحمن الكواكبي فكتب إليه قائلاً: أما إعجابك بطبائع الاستبداد فأجرك عليه إعجابي بقصيدتك التي تعاتب فيها قومك الترك، ولو أبصرت ما أبصرت في أسفاري لرأي الناس من شعرك في هذا الموضوع ما لم أروه في كتابي.

شهادة صاحب المنار محمد رشيد رضا

وبعث السيد محمد رشيد رضا إلى الشاعر الكاشف يقول: إن في شعرك روح التأثير، وأحب أن يكون للمنار حظ كبير منه، فحارب به البدع والخرافات والعادات السيئات.

القيمة التربوية لشعره

ومما يؤيد وجهة نظر الأستاذ محمد رشيد رضا ما روي من أحد وزراء المعارف قرأ قصيدته (اختيار الزوجة) فبعث إليه يوصيه بالحرص على هذا الأسلوب.

علاقته بالنسبين الجركسي و الرومي

نبدأ الحديث عن اسم الشاعر الكاشف ونسبه بتلخيص لا بد منه، ولا بد معه من أن نحرر القول في هذا التاريخ الطريف فنقول إن جده «عمر» كان قوقازيا احتضنه ذو الفقار الكاشف فأخذ لقبه كما ورث ثروته التي أوصى له بها، وردّ جد الشاعر الجميل لمن احتضنه بأن سمي ابنه «والد الشاعر» باسم من احتضنه! وعلى هذا يكون اسم الشاعر بطريقة التسلسل: أحمد بن ذي الفقار بن عمر الكاشف، وإذا فلم يكن لقب الكاشف لقباً للشاعر أو لأبيه أو جده، وإنما هو لقب أطلقه علي جده عمر ولي نعمته ذو الفقار، وقد كان ذو الفقار هذا من أكبر أعوان محمد علي باشا الكبير، ويبدو فيما يرويه الشاعر محمود غنيم أنه لم ينجب فتبني جد الشاعر، وقام علي تربيته وكان هذا الجد قوقازي الأصل، وفد منها وهو في السابعة من عمره.

لم يتمتع جد الشاعر بالثراء الذي هبط عليه، إذ أن الوالي عباس الأول صادر هذه الثروة الطائلة، وقد دفعته أحواله إلى أن يتطوع لنصرة الدولة العثمانية في حرب القرم، وهناك أظهر بطولة خارقة، وغامر بنفسه، حتى أصابته رصاصة في فخذه كادت تقضي عليه، وقد ردت إليه أملاكه في عهد الوالي محمد سعيد باشا، ولم يكتف هذا الوالي برد أملاكه إليه، بل قربه منه، وولاه إمارة الحج مرتين، كما أنط به نظارة أوقاف الجامع الأزهر، وقد توفي هذا البطل عن ستين عاما.

أما والدة الشاعر فرومية الأصل، كان إبراهيم باشا قد استحضر أباهما سليمان و أختا له من جزيرة كريت، ورباهما في قصره، فلما شب سليمان (جد الشاعر لأمه) زوجه إبراهيم باشا بجارية شركسية، فولدت أم الشاعر. و أما عمه والدة الشاعر فزوجها من ضابط مقدوني من حاشيته، وكان فظا صعب المراس، وكانت هي حازمة رقيقة القلب فحدت من جماعه، ولهذه العمه كبير فضل علي الشاعر، فهي التي تولت حضانتة ونشأته علي مكارم الأخلاق.

نشأته ومرضه المبكر و ثقافته

ولد الشاعر أحمد الكاشف في قرية القرشية التابعة لمحافظة الغربية سنة ١٨٧٨، وظل وفيها لموطنه الأول هذا طيلة حياته، وفيه قضى عهدي طفولته و صباه، ومعظم عهود شبابه وكهولته وشيخوخته، ومع أنه كان محبا للريف ولللاحين على ما سوف نرى ، فإنه لم يكن علي علاقة طيبة لا بأقرانه، ولا بزملائه في المدرسة، حتي إنه انقطع عن الدراسة عندما أخفق في الحصول علي الابتدائية، ولعل أطول فترة قضاها بعيدا عن مسقط رأسه هي الفترة التي قضاها موظفا رسميا بوزارة الأوقاف لعدة سنوات تعد علي أصابع اليد الواحدة ، وذلك في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين.

في الخامسة من عمره أصيب الشاعر أحمد الكاشف باضطراب عصبي، وفي العام السادس من حياته أصيب برمد في عينيه، ترك شبه عاهة مستديمة، وفي العام الثاني عشر أصيب بمرض ذات الرئة، وعند الخامسة والعشرين نتيجة للإجهاد،

وطول السهر بدأ يحس مضاعفات الاضطراب العصبي، وقد عولج بالكهرباء فكتب عنها أبياتاً متوسطة القيمة ، ومن حق بعض النقاد أن يقولوا إن هذه الأبيات على جودتها ليست في مستوي شعره.

لم يلتحق الشاعر أحمد الكاشف بالتعليم النظامي إلا بعد أن ناهز الثامنة من عمره في مكتب القرية، ولم يكن مرتاحاً إلى شيخ الكتاب، وتلويحه بعصاه لكل من خانته حافظته أو ذاكرته، وقد أتقن مبادئ القراءة والكتابة حتى جعل من جدران منزله ما يشبه المتحف، وأضاف فن العزف الموسيقي، وقد ظلت هذه الهواية ملازمة له طول حياته. وفي الثالثة عشرة من عمره افتتحت مدرسة نظامية في القرشية فأتيح له أن يتلقى فيها مبادئ اللغة الفرنسية، والتاريخ وتقويم البلدان، والحساب، والهندسة، والنحو، والفقه الإسلامي، واستهواه علم التاريخ بصفة خاصة، فأخذ يتتبع سير النابغين من أبطال الرجال، ولم يكتف بتتبع سيرهم بل أخذ في تقليدهم، حتى نشأ عنده ما بعض ملامح مما قد يسمى بجنون العظمة. ومع هذا فقد كان الشاعر أحمد الكاشف يتمتع بأخلاق متينة، وصفاء نفسي وعقلي، على نحو ما كان شعره يتمتع بالأصالة، وصفاء الديباجة، وعمق النظرة.

ظهور شخصيته و هو لا يزال طالباً

في السادسة عشرة بدأت موهبة الكاشف الشعرية في البروز بعد أن نال حظاً من علوم اللغة، وكان له خال جيد النظم فكان يبعث بإنتاجه إليه لينقده له، والتحق بمدرسة الأقباط الكبرى بطنطا، وكانت من المدارس العريقة، فدخلها وهو كبير، وكان وهو تلميذ بتلك المدرسة ذا شخصية مرموقة، حتى إنه كان يجادل ناظرها، وكان وهو في السابعة عشرة من عمره يدبج المقالات في صحيفتي «العمدة» و«الأهالي». وكان الشاعر أحمد الكاشف يسافر إلى القاهرة لفترات قصيرة لإنجاز بعض أعماله ثم يعود إلى مسقط رأسه، وفي القاهرة نشأت صلته بكبار الساسة والمفكرين والأدباء في القاهرة، ثم التحق بوظيفة حكومية صغيرة، لكنه لم يمكث فيها إلا فترة قصيرة.

شعره السياسي

على سبيل التحديد غير المتعسف وغير المبالغ فقد كان الكاشف شاعرا مبرزاً بين شعراء السياسة والوطنية، وكانت جريدة الأهرام تتخذ لما تنشره من عنوانا ثابتاً هو «الشعر السياسي»، وقد تجلت صولاته في عدة محاور متصلة وإن تعارض بعضها في الظاهر. ففي الصعيد الأول كان الشاعر أحمد الكاشف محباً للعثمانيين حتى وصف بأن روحه تحوم تحويم الطيور علي مياه البوسفور، وكان الأستاذ محمود غنيم حسبما روى عن نفسه يعتقد أن الشاعر أحمد الكاشف في عثمانياته يقلد شوقي الذي يعتبره مثله الأعلى، لكنه اكتشف أن الكاشف كان أكثر تعصباً للعثمانيين من شوقي، بل أكثر تعصباً لآل عثمان من آل عثمان أنفسهم .

الفرق بينه وبين شوقي في توجههما

و علي الرغم من مشاركة الشاعر أحمد الكاشف وشوقي في توجههما العثماني، فقد كانا يشتركان في التوجه الوطني أيضاً، لكن الفارق بينهما يأتي في بعض المواقف التي تمثل خلافات تقليدية، وعلي سبيل المثال فقد غلبت الشماتة الشاعر أحمد شوقي في موقفه من عرابي باشا عند عودته من منفاه، لكن الشاعر أحمد الكاشف نظر إلى تاريخ الزعيم أحمد عرابي باشا نظرة إيجابية بررت بعض توجهاته وقراراته و انتقدت معظمها و ذلك من دون أن يتعالى عليه أو يسخر منه .

إيمانه العميق بالشعر ودوره الحضاري

على صعيد مواز للوطنية والانتماء الوطني، فقد كان الشاعر أحمد الكاشف مؤمناً إيماناً عميقاً بدور الشعر في السياسة والحضارة وبناء الأمة، وكان يعتقد أن الشعر أكثر أهمية للأمة من القانون والحكام، وألزم للفرد من الشراب والطعام، وقد ظهر هذا في مقدمة ديوانه التي أتبعها بمعجم لأسماء شعراء العصر، مرتب علي حسب الحروف الأبجدية، غير مقتصر على مختلف الشعوب العربية، وإنما ذكرا شعراء

الترك والفرس. وكان الشاعر أحمد الكاشف يعبر في شعره بقوة واقتدار عن إيمانه الصادق والمخلص بالدور الطليعي للشاعر:

وأحق بالتفضيل شاعر أمة ما زال فيها داعيا ومجيبا
موف إذا ترك البلاد أنيسها ملأ البلاد تذكرا ونحيبا
ويفيض في أعيادها فرحا فلم يترك بها متوجعا منكوبا

بل إن للشاعر أحمد الكاشف قصيدة وجهها إلى الخديو عباس حلمي الثاني عاتبه فيها عتابا مرا على إغفال الشعراء، ووصف النقاد والدارسون طبيعتها بأنه وجه إلى الخديو من النصائح ما لا يوجهه أستاذ إلي تلاميذه أو أب إلي بنيه، على حين لم تكن سنه تسمح له بأن ينزل نفسه هذه المنزلة من الخديو.

ملاح شعره الإسلامي

كان للشاعر أحمد الكاشف شعر ديني علي أعلي الدرجات من التجويد، وسلامة القصيدة، وهو يعبر عن اقتناعه القلبي والعقلي بالإسلام بأبيات جميلة يقول فيها:

من يكن قام بالعقيدة تقليدا فإني استقمت بالبرهان
مسلمًا عشت لا لإسلام أمة وأبي والأمير والسلطان
أنا لو كنت ناشئًا ومقيما بين قوم من عابدي الأوثان
لم أجد غير دين أحمد أولي باتباع من سائر الأديان

حماسه وتأييده لليبيا في الحرب الإيطالية

هذه أبيات يشيد فيها الشاعر أحمد الكاشف بشجاعة ثوار ليبيا في الدفاع عن وطنهم وقد تضمنتها قصيدة عنوانها: "الحرب العثمانية الإيطالية"، وقد وصل شعوره القومي فيها إلى أن يصف ليبيا بأنها اخت مصر:

وأبت على العادي طرابلس وما اتخذت سوى مهج الأباة حصونا
عربية زهراء يحمي خدرها عرب كما تحمي الليوث عرينا

صيد يدبر أمرهم ويسوسهم صيد من الأتراك قوامونا
يا أخت مصر وفي حشاها جمرة لبيك حتى يكتفي الداعونا
بعثت إليك بزادها وتود لو بعثت إليك الجند مبتدرينا

الاعتصام بأخلاق الإسلام

يدعو الشاعر أحمد الكاشف إلى الاعتصام بأخلاق الدين الإسلامي في قصيدة
طويلة عنوانها: "ذكرى الماضي وشكوي الحاضر":

بني الشرق أدعوكم إلي خير منهج يعيد إليكم نضرة العيش ثانيا
فجاروا بني الغرب الذين تشبهوا بأجدادكم حتى تنالوا المعاليا
وأنتم بتقليد الجدود أحق من عدا سلبوكم مظهرها كان زاهيا
أسركمو أن المحارم تستبي ولم تلق فيكم عن حماها محاميا
وإن لكم سيفاً من الدين ماضيا يفل إذا جردتموه المواضيا
فأحيوا به نهج النبي وجددوا مقاما لدين الله أصبح باليا

موشح في الدعوة إلى الإصلاح

أفاض الشاعر أحمد الكاشف في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي
المستند إلى الدين ومن ذلك ما نجده في هذه المقطوعة من شعره الجميل التي
نظمها على نسق الموشحات:

يا بني الدين اسمعوا ما أنشد إنني فيكم أبر المنشدين
لم هذا النوم عن حفظ الحمي وهو يدعوكم ويشكو الألما؟
ما رأى منكم مجيبا مقدا فارتمي يصرخ مما يجد
موجعا في زفرات وأنين

ما أتى الدين بما أنتم عليه من ضلال كلما ملتتم إليه
صرتمو من ضعفكم طوع يديه تفقد الأنفس فيما تفقد
عنده كنز الهدى الغالي الثمين

مديح السلطان عبد الحميد الثاني

على سعيد مواز ، كان الشاعر أحمد حريصا على أن يتوجه بالخطاب إلى الخلفاء والولاة، في قصائد مديحه لهم، وكان يري في هذا الشعر المتنفس الحقيقي لتحقيق آماله في عزة أمته. ولعل أشهر من مدحهم الشاعر أحمد الكاشف هو السلطان العثماني عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين، ولهذا سبب تاريخي يضاف إلى الأسباب الوجدانية والوطنية فقد استمرت فترة خلافته من ١٨٧٦ وحتى ١٩٠٩ أي ان عهده كان بمثابة العهد الذي نشأ فيه الشاعر أحمد الكاشف وظهرت موهبته، وقد نشرنا في كتابنا "جماليات الشعر والرحلة في تاريخنا المعاصر" أبرز مدائحه للسلطان عبد الحميد، وهي تلك القصيدة التي يهنئ بها الخليفة العثماني في مهرجان جلوسه السادس والعشرين ١٩٠٢ والتي مطلعها:

لك الولاء الذي لم يخفه أحد ولا خلت أمة منه ولا بلدُ
قد قمت بالحكم عدلا لا يميل بك الهوى ولا يتخطى رأيك الرشد
وسرت بالملك مأمون المذاهب ميمون المساعي على القرآن تعتمد

وفيها يقول:

يا صاحب الباقيات الصالحات ويا رب الأيادي التي لم يحصها عدد
أقبلت والقوم في أهوائهم شيع شتي طرائقهم من غيهم قدد
فاستسلموا لك لما قمت ترشدهم واستمسكوا بعري الميثاق واتحدوا

ونحن نلاحظ أن بعض النصوص المطبوعة لم تثبت هذا البيت الأخير .

قصيدة أخرى من مدائحه للسلطان عبد الحميد

وهذه قصيدة أخرى مشهورة أيضا من مدائح الشاعر أحمد الكاشف للسلطان عبد الحميد الثاني تتميز بموسيقاها الداخلية المعبرة عن انفعالات الحالة الاحتفالية، وتتضمن أبياتا جميلة رائعة ومشهورة في مديح ذلك السلطان، وإن كانت قد عانت

من العبث فيها في عهد حكومات ١٩٥٢ التي قامت بحذف ما يشير إلى تدين السلطان عبد الحميد الشديد وولائه المخلص للإسلام :

قسماً بعزة تاجه ولوائه
وبعرشه السامي وبأس حسامه
وزمانه وأمانه وحنانه
وصلاته وزكاته وصيامه
وجياده وعماده وحصونه
وخليجه ومضيقه وجباله
وذمامه ومرامه وجهاده
والمطلع الميمون حيث الموكب ال
وغياضه ورياضه وحياضه
وقيامه سهران يرعى وحده
ودفاعه عنا الخطوب وكشفه
لهو الإمام المجتبي من ربه
ألقى إليه مقاليد الدنيا وأعد
ودعاه عون المؤمنين فكانت ال
والرسل والأملك في بشرائه
ولقد أتى والسيف في عنق الحمى
فأقال عثرته وجمّع شمله
وسطا على الأعداء سطوة قادر
فنجاه به الملك الكبير من الأذى
وأقامه جذلان مشتدّ القوى
وأعاد هذا الدهر بعد جماعه ال
وأراح بيت الله مما راعه
فطريقه مأمونة ميمونة
فله الجزاء من النبي عن المقام
عبد الحميد اليوم نذكر بدء حك
يوم رأى فيه الرعية رحمة ال
يوم تأبه في الزمان فكان بال
بل صانه التاريخ معتدلاً بما

وبجيشه المنصور في هيجائه
وسداده في حكمه وقضائه
فيما وحكمة رأيه ومضائه
ويقينه وأناته وذكائه
وسفينه وقلاعه وبنائه
ومجاله وبحاره وعطائه
وجلاله وبنيه بل نجبائه
مشهور قام يموج في أضوائه
وذماره ومناره وعلائه
أقوامه وغناه عن وزرائه
ظلم الكروب وعفوه وإبائه
لحماية الإسلام من أعدائه
ألى قدره في أرضه وسمائه
أيام والأقدار من أسمائه
والنصر والتأييد من حلفائه
وبنوه غرقى في عباب دمائه
وشفاه من آلامه وشققائه
لا يستطيع الخصم هول لقائه
وتهلل الإسلام بعد بكائه
متبلج الأنوار بعد خفائه
قاسي إلى إقباله ووفائه
وكساه حلة مجده وبهائه
محروسة بجنوده وسنائه
م وزائريه وساكني بطحائه
مك في مواطن هُزئت ببقائه
باري تجلت في جميل فضائه
سلطان مفتخراً على أبنائه
يمتد في الأكوان من أنبائه

وبدا له الإسلام في خيلائه
والأفق في إشراقه وصفائه
غرب البغيض بخصبه ورخائه
ويعيد فيه ما مضى من دائه
أولى له من حقه وعدائه
سُدَّتْ مسالكه بطود رجائه
ساع إلى تدميركم ببلائه
وضح السبيل به لعين التائه
يبدى أدلة حبه وولائه
خضراء ضامنة دوام هنائه
تتوقد الأشواق في أحشائه
دنيا مرددةً جميل ثنائه

عيد به احتفل البرية واحتفوا
فالأرض عاطرة الجوانب نضرة
والشرق مبتسم الثغور ينافس ال
ويخيفه من أن يميل عروشه
ويريه أن خضوعه ووداده
مهلاً عداة الدين إن رجاءكم
وترفقوا بنفوسكم فضلالكم
وبصارم الملك اهتدوا فلطالما
مولاي هذي مدحة من ناشئ
ويرى المعيشة في حماك رغيدة
متشيع لك مغرم بك هائم
غنى بذكرك مطرباً فاهتزت ال

عناؤه لدار الخلافة العثمانية بعد إقرار الدستور

ومن قصائد الشاعر أحمد الكاشف المشهورة ذات القيمة الفنية والتاريخية العالية هذه القصيدة التي نظمها مع افتتاح قصر الخلافة العثمانية الجديد الذي أقيم على مياه البحر بالقرب من مضيق البسفور، وكان هذا في عهد السلطان محمد رشاد ، وقد سما الشاعر أحمد الكاشف هذا القصر بدار الخلافة وأخذ يخاطبه بشعر حافل بالود والفخر والاعتزاز في لغة بسيطة سهلة مباشرة تعتمد إلى التصوير المتوالي لجوانب الصورة بحيث تخلق منها لوحة كبيرة ممتدة حافلة بالتفاصيل الدقيقة :

وأجل قدرك في الورى الدستورُ
ماجت ميادين الحمى والدور
تبديله الحدثان والتغيير
والملك بينهما أعز فخور
والبر موفور الجلال وقور
والأمن تحت لوائه والنور
للفرد حتى يخلص الجمهور
ملك له التدبير والتخيير
أن لا يدل على الوضيع وزير

دار الخلافة حاطك البسفورُ
هذي مواكب عيده اللاتي بها
ذكرى أغر محجل ضمن المنى
الحكم عدل والرعية حرة
وخليفة الرحمن مطرد الندى
مصدوقة شوراؤه عالٍ رأيه
يدرى بأن التاج ليس بمخلص
يرعى ويسترعي الشعوب أمورها
حسب العباد من النظام وأهله

في ظله مستأجر وأجير
علماً بأن الدائرات تدور
عبثت مقاديرُ بها وعصور
ملأ السرير الأرض وهي تمور
هذا الترات وإنه لعسير
في القوم عند الله وهو غفور
وأسا الجراح الداميات خبير
في الهدنة التسبيح والتكبير
إلا فريقاً ما يزال يثور
غصوا بهذا الماء وهو نمير
أن لا يفارق عينه الديجور
حراسيه والراصدون كثير
فسادهم لو يمهلون كبير
لكنه لذنوبهم تكفير
دمهم لإطفاء الضرام بحور
لم يبق ماثوم ولا مأزور
ثكلى وقد راع العراق نذير
وأبى على المتطاولين عسير
ملأت ثراه جماجمٌ ونحور
فليبق وهو المرغم المقهور
غوضبت فهو محرم محظور
مصرٍ وأخرُ في الحجاز قدير
وسعى نصير يصطفيه نصير
أشقاهم التحريضُ والتنفير
عاص ولم يحقن دم مهدور
يا ليت مصر تعودها وتزور
بعد الشام فهل لمصرَ بشير
تصفيقه عن حبهها تعبير
فسلام مسترع إليك يشير
في الأرض ما لهم سواك مصير
سببي إليك إذا أردت قصير

جمع الشوارد حول حوض واستوى
ما اختص أحمد بالخلافة أمة
أولى بها من صانها من بعد ما
وجلا السماء السيف وهي دجى كما
شقيت بما تتوهم الأعداء من
لك كل يوم يا رشادُ شفاعتُ
يممت حصنَ الخارجين فأذعنوا
وعلا مكان السيف بعد صليله
وأقمت بينهم الصلاة فسلموا
عافوا شهى العدل والإحسان أم
أولى بمن زاد النهار ضلاله
وليبق أعزل كل من يبغى على
إن أكبر الغيران بأسك حولهم
ما كان قتلهم انتقاماً منهم
فهم وقود ضرامهم حيناً ومن
لو طهر الدم أثماً من رجسه
حورانُ مزدجرٌ ومقدونية
وتصلت صنعاء من فجارها
لن يخلو البلقان من شر وإن
من لم يطعك موقفاً مستغفراً
في القلزم المجتاز مأذون فإن
قد قام يجمع شاطئيه أبر في
مد الشريف إلى العزيز يمينه
هو حجة النسب الزكي على الأولى
لولا وسيلته إليهم لم يطع
يا زائراً في كل يوم أمة
جاء الحجاز بشيرها بمحمد
إن صفق النيل السعيد فإنما
وإذا علت أهرامها وتطلعت
المسلمون على اختلاف بقاعهم
بيني وبينك زاخران وإنما

لولا مضاعفة القيود لكان لي
من لي بأجنحة الحمام فأغتدي
وأرى السواحل دونهن سلاسل
وكأنها شم الجبال مواخراً
لو كان لي أجر الوفاء لكان لي
حسبي مطاف بالرياض وزهرة
وتحية من سانحات مثلما
في كل أرض موطن وعشير
بين المعازل حولهن السور
وأرى السفائن فوقهن نسور
يدوي حديد تحتها مصهور
فوق الخليج خورنق وسدير
ولكل طير روضة وغدير
مرت بأبرار الملائك حور

تعبيره الذكي عن حبه للعثمانيين

ويصل الشاعر أحمد الكاشف بعد هذا الاستعراض التاريخي الجميل إلى أبياته المشهورة في مديح العثمانيين وحبهم الصادق إلى أن يجاهر بما يتمناه من توسع دولتهم وانتصارهم في حروبهم التي يراها ضرورية لنشر العدل ومنع البغي:

يا آل عثمان السلام علي
أهواكم وأود لو سَلِمَتْ لكم
وأود لو عاشوا وليس عليهم
إن الذي فتح الممالك محسناً
لولاكم في الشرق غال حصينه
هل بعد ما شهدت لكم أثاركم
يا لابسين من الحديد سوابغاً
ومظللين من اللوافح بالقنا
ومغربين عن الديار وذكرها
لا فارقت سيما النعيم وجوهكم
قسماً بمكة لن يراع مسالم
لا خافكم إلا عدوكم ولا
لكم العزائم والثبات وللعدي
إن أيقظوا في كل واد فتنه
خشعت جبالهم لكم رهياً كما
وقلوب أهل البغي باقية كما
هل تلتقي حول العرين صغارهم
ما هز أعطاف الوفي شعور
في العالمين مدائن وثغور
إلا أمير المؤمنين أمير
بخلود هذا الملك لهو جدير
في الغرب ممدود الشباك مغير
بالعدل يعبت بالعيان نكير
وكأنما هو سندس وحرير
في البيد إذ أذكى الرمال هجير
لكم أنيس في النوى وسمير
يوماً ولا غابت هناك بدور
أمنتموه وسيفكم مشهور
عدت الأحبة غبطة وسرور
حض الخوارج والخنا والزور
فبكل واد جحفل منصور
لانت جنادل قبلها وصخور
خلقت تفيض ضغائناً وتفور
من بعد ما هال الكبار زئير

سارت جنودكم لكل عزيمة
أهدي إليهم خير ما صنعت يد
إني لأدلي بالمواثيق التي
وأمانة مرعيّة ووديعة
إن كنت شاعركم بمصر فإنني
إني صبرت على الجهاد وطالما
يا ليتني بين الجنود أسير
وحكى فمّ عذبّ وصان ضمير
أسوان ترعاها لكم والطور
محميّة بهما ينوء ثبير
لكم غداً في الخافقين سفير
بلغ المدى بعد الجهاد صبور

يلوم المانيا على تخاذلها في دعم العثمانيين

وهذه قصيدة فريدة في بابها نظمها الشاعر أحمد الكاشف مخاطباً بها الامبراطور الألماني بكل ما يمكن للإنسان أن يُخاطب به من اللوم ، والقصيدة حافلة بالعتاب لهذا الامبراطور الذي لم يكن وفيما كما ينبغي بعهوده مع الدولة العثمانية، وكان من نتائج نكته لعدهه على سبيل المثال ضياع جزيرة كريت من الدولة العثمانية وهو ما حدث كما نعرف في ١٩١٣ قبيل بداية الحرب العالمية الأولى التي تحالفت فيها الدولة العثمانية مع ألمانيا والنمسا:

أهلاً بوّدك قيصر الألمان
ومباركاً إحسانه بك ظنّه
ألهيته زمناً بقولك خادعاً
وعلىّ أن أحمي بصولة أمتي
ولبثت ترداد البلاد ملاقياً
حتى اطلعت على موارد رزقه
وسواك يرقب حاسداً متلهفاً
ما فارق الأوطان ركبك راجعاً
يا قيصر الألمان أدركنا فقد
أنسيت عهداً للإمام وموثقاً
واحسرتاه على كنوز أنفقت
تكفي لميرة عسكر وذخيرة
ما سرّت الأتراك منك رواية
حتى ختمت بدور جد محزن
فارجع إلى كرسيك العالي وقل

لو أن ودك نافع السلطان
لو تستحق حلوة الإحسان
في ذمتي هذا الحمى وضمان
شرف الهلال وأمة القرآن
حباً وتكريماً بكل مكان
وعلمت نائي ملكه والداني
لحظات عينك شاكي الحرمان
حتى سمعت نوادب الأوطان
آلت كريد إلى الفتى اليوناني
ما كان هذا الخطب في الحسبان
في زورتيك منيعة الأركان
عامين والأعداء في الميدان
هزلية الأشكال والألوان
هذي الرواية في المساء الثاني
هذا نصيبي من بني عثمان

إني أنال برقتي وفصاحتي ما لم أنل بالسيف والنيران
لو يبلغ السلطان نصحي لم تطأ يوماً لمثلك أرضه قدمان

مدائح الكاشف للخديو عباس حلمي الثاني

عاصر الشاعر أحمد الكاشف كل عهد الخديو عباس حلمي الذي حكم مصر ما بين ١٨٩٢ و ١٩١٤ ومدحه في قصائد طويلة معبرة عن التاريخ الاجتماعي والعقلي لذلك العصر فضلا عن مقارباتها السياسية لكل القضايا الشائكة باقتدار وذكاء ووضوح، ومن هذه القصائد العباسية للشاعر أحمد الكاشف قصيدته العينية الجميلة المشهورة ، وهي من أفضل المدائح في عصرها ، إذ تطرق فيها الشاعر إلى آفاق متعددة في الخديو وصفاته و طبعه ونشاطه ، وهي قصيدة سلسة واضحة المعاني لا تحتاج إلى كثير من التعقيب ، و هي نفسها القصيدة التي ذكر الكاشف نفسه أن أمير الشعراء شوقي عارضها بقصيدة اشتهرت بأكثر من قصيدته وفي هذه القصيدة يقول الشاعر أحمد الكاشف:

فيك الرجاء مسلماً ومودعا
حسب المواطن من صفاتك أنها
تسعى إلى خير المقاصد مفرداً
حتى أعدت من المناقب والعلی
وجمعت بين الأمتين موقفاً
وكفيت شعبك أن يراع بحادث
وملأت عصرك بالفتوحات التي
بكتائب أظلمتها بخوافق
ورميت خصم الملك بالحرب التي
ما ثار محتدماً وأرسل مارجاً
وسطت جنودك في البلاد فزلزلت
ما زال بأسك في القبائل سائراً
حتى جرى دمهم فروى غلة
وأناك محتفلاً بحكمك راضياً
فغفرت ذنب التائبين تكرماً

متمهلاً فيما تروم ومسرعا
وجدتك مشتد العزيمة أروعا
فتنال منها ما نأى وتمنعا
ما أفقد الدهر العنيد وضيعا
للخير بالسبب الذي لن يقطعا
ويخاف بأساً للعادة ومطمعا
ما غادرت حصناً أشم وموقعا
كالسحب إلا أنها لن تقشعا
فيها نصرت على الحسام المدفعا
حتى هوت شم الرواسي رُغماً
رهباً وضيق الفضاء الموسعا
ملء الجوانح بالأعادي موقعا
لم يروها النيل المبارك مترعا
من كان يأبى أن يذل ويخضعا
وحبوتهم صفو الحياة تبرعا

تحرّمهم من نور وجهك مطلعاً
شوقاً إلى ملقائك أن تتصدعاً
لم تخل من ذكرى نداء موضعاً
لك كيف ساق إلى العصاة المصراعاً
بالحالكين ولا لهم متوجعاً
حتى ترى الصحراء روضاً ممرعاً
ما دمت للنيلين أوسع منبعاً
نهر من النهرين أحلى مشرعاً
ما صدّقوا مهدّيهم فيما ادّعى
ولما رأوا إلا إليك المفزعاً
كالبحر ماج عبائه فتدفعاً
تبيض حتى تجتليها لمعاً
باقين لا اختاروا إليك المرجعاً
وجدوا شفيحاً من رضاك مشفعاً
أوطان ما أصبحت فينا مزعماً
حتى رأوك وفاءه المتوقعاً
في الله بين الدين والدنيا معاً
عنها مناراً أو طريقاً مهيعاً
لمقامك المصطاف والمتربعاً
وهُدًى تسوس به ممالك أربعاً

أتمم عليهم هذه النعمى ولا
وارفق بهم فلقد تكاد قلوبهم
زهرهم زيارة جدك الأعلى الذي
واستعرض الجند الرهيب ممثلاً
عظة لمن أبقيت لا متشفيماً
حيناً وحيناً فض ببرك فيهم
ويدوم مضموناً نعيم حياتهم
لهم الهناء فقد جرى في أرضهم
لو كان بشرهم بعهدك ناصح
ولما أقاموا دون جندك معقلاً
ستراهم إذ تلتقيك وفودهم
وتكاد من فرط السرور وجوههم
لو يعلم الماضون ما أوليته ال
ولو استغاثوا قبل ذاك من الردى
عباس للإيمان والسلطان وال
ما زال وعد الله بين عباده
فادع الشعوب إلى الخليفة جامعاً
واجعل لها في كل قطرٍ مُبعِدٍ
لا زلت ميمون التنقل محيياً
ورعاك من أعطاك حكماً عادلاً

حديثه عن الميول الإسلامية للخديو عباس حلمي

وفي قصيدة اخري يمدح الشاعر أحمد الكاشف الخديو عباس حلمي فيما يصفه
من ميوله الإسلامية و الجهادية ، واتباعه لسنة النبي عليه الصلاة والسلام و يمضي
في تصوير توجهات الخديو عباس فيقول:

لام سعي مبارك وجهاد
طان أغلي ما المسلمون استفادوا
ين أودت بخصمه الأحقاد
ل الرعايا، بل النهي والسداد

إيه عباس إن سعيك للإس
وتماديك في مواصلة السل
كلما استحكم اتحاد كما في الد
هذه سنة النبي ومأمو

وسلاح يصد كل مغير
دام عباس لي بملكك جاه
فانصرافي إليك أفضل ما أك
ومنار للشرق واستعداد
ورجاء ونعمة واعتداد
سبنيه اليقين والاعتقاد

قصة اتهامه السياسي ونجاته منه

يتصل بالسياسة في شعر أحمد الكاشف ما قد يبدو متناقضا مع توجهه العثماني، وذلك أنه اتهم وهو في الرابعة والعشرين من عمره بتهمة الدعوة إلى تأسيس خلافة إسلامية مستقلة في مصر، بسبب أبيات وردت في قصيدة له يودع بها الخديو عباس حلمي عند سفره إلى السودان، وحددت إقامة الشاعر في قرينته، فكان لا يسافر إلى القاهرة إلا خلسة، حتى تمكن بعد لأي من التغلب على هذه الدسيصة، وورد إليه كتاب من المعية يبشره بالرضا السامي، ويدعوه إلى المثول بين يدي الخديو، وقد فعل، أما الأبيات التي أسيء تأويلها في قصيدته المشار إليها فقولته يخاطب الخديو :

فادع الشعوب إلى الخلافة جامعا
واجعل لها في كل قطر مبعدا
يرعاك من أعطاك حكما عادلا
في الله بين الدين والدنيا معا
عنها منارا أو طريقا مهيعا
وهدى تسوس به ممالك أربعا

فخره برضا الخديو عنه

وأما الأبيات التي يشير فيها الشاعر أحمد الكاشف إلي ما تحقق له بعد فترة من رضا الخديو عباس حلمي عنه ففيها يقول:
للعرش ما أنا كاتب وكفي بما
ولئن ملأت من الولاء سرائري
أرضي الإمارة عزة للكاتب
فلقد ملأت من النوال حقائبي

قصيدته في الزعيم أحمد عرابي

وصف الشاعر أحمد الكاشف الزعيم أحمد عرابي بالثائر (مع تحفظه على ثورته) في قصيدة طويلة عرفت باسم القصيدة العرابية ، وتعبير هذه القصيدة بلغة السياسة عن رؤية متوازنة ففيها الرأي و الرأي الآخر ، و إن كان الشاعر أميل تماما إلى

أحد الرأبيين ، وقد تنوعت قافيتها إلى ثلاث قواف وفيها يصف الكاشف هزيمة عرابي و شيعته وصفا مروعا يقول إنه لا ينسأه ، مع أنه كما نعرف من تاريخ مولده كان لا يزال حدثا ، بل إنه يصف هزيمة عرابي بأنها كانت استسلاما بالأرواح والأجساد معا كما أنها كانت هزيمة سريعة لم تستغرق من عدوهم إلا يوما ، وهو يقارن بين حال مصر قبل هذه الهزيمة و بعدها مشيرا إلى الفارق بين مشاعر عرابي باشا في الحاليين :

أقام من فتن فيها وإفساد
في دفع كل مغير جائر عاد
على الجهاد إلى أن أزعج الوادي
ولا استعان بتدبير وإرشاد
لجنده باتصال الماء والزاد
غصب البلاد له باتوا بمرصاد
لا حاضر يقظ الذكري ولا باد
رعبا بها الأرض من غور وأنجاد
ما هنئت قبلها أم بأولاد
عن الحصون ارتداد الهائم الصادي
مستسلمين بأرواح وأجساد
مثقلون بأغلال وأصفاد
منهم لهم خير أنصار ورواد
لشر ما كنت تخشي شر معتاد
من الأجانب فيها بعض أفراد
يحصيه في ألف عام ألف عداد
من أسرها وعدمنا المنقذ الفادي
هاج الأعادي بإنذار وإيعاد
وفي الجوانح نخفي نار أحقاد
يوما فأسقطتهم من فوق منطاد

يا ثائرا رام إصلاح البلاد بما
وغره نفر أبدوا رغائبهم
فصاح في الناس يدعوهم ويجبرهم
وقام بالأمر لم يحكم وسائله
وسار يحسب أن الفوز متصل
وما دري أن أقوي الطامحين إلي
وكان ما كان مما ليس يجله
وقائع شاب منها الدهر وامتلات
لو يعلم القوم عقباها وغايتها
ما أنس لا أنس يوم ارتد فيلقهم
مغادرين جموعا عند غالبهم
فما مضى يومهم إلا وقادتهم
وتم للإتجليز النصر واتخذوا
واعتماد حزبك ضيم المعتدي فغدا
قد كنت تخشي على الأوطان حين تري
واليوم ضاقت بحشد كالرمال فلا
بتنا أساري خطوب لا مفر لنا
إذا بكينا ليشفي الدمع غلتنا
فحبس الدمع بل نبدي الخضوع لهم
هذي معيشة قوم رمت رفعتهم

رثاء الزعيم مصطفى كامل

وللشاعر أحمد الكاشف قصيدة رائعة حافلة بالعواطف المشبوبة الصادقة في رثاء الزعيم مصطفى كامل باشا ١٨٧٤-١٩٠٨، وفيها يصف الزعيم الوطني بأنه قائد الأبطال الذي تسقيه الدموع الغزيرة :

لهفي عليك وقد رحلت اليوم لم تسقيه ماء النيل عذبا باردا لو كان عمرك بعض ما نرجو وما يا ليثها يفديك من وزرائها يا قائد الأبطال هذا جيشك الجرا أعلامهم معكوسة فكأنه فلئن بكوك فكم بكيتهم وهم لولاك لم تبد الحوادث مخلصا	تدرك لغرسك في البلاد ثمارا واليوم تسقيه الدموع غزارا تسعي لمصر استوعب الأعمارا من لم يضع عن أهلها الأوزارا فانظر جيشك الجرارا أسراب طير ضلت الأوكارا غرباء في أوطانهم وأساري لبلاده منا ولا غدار
---	---

هجاؤه لأحمد فتحي زغلول الذي يشيع نسبه إلى أمير الشعراء

ذهب الشاعر محمود غنيم في دراسته عنه إلى أن يثبت له حق ملكيته الفكرية لذلك الشعر اللاذع الذي هجا به أحمد فتحي زغلول عندما أقيمت في فندق شبرد حفلة لتكريمه بمناسبة توليه منصب وكالة وزارة الحقانية، ومن المعروف أن أحمد فتحي زغلول باشا كان عضو المحكمة التي حاكمت المتهمين في دنشواي:

إذا ما جمعتم أمركم وهممتمو خذوا حبل مشنوق بغير جريرة ولا تكتبوا شيئا إليه فحسبه ولا تقرءوه في (شبرد) بل اقرءو	بإهداء شيء للوكيل ثمين وسروال مجلود وقيد سجين من الكتب حكم خطه بيمين علي ملأ في دنشواي حزين
--	--

ومع أن الشائع حتى الآن أن هذه الأبيات من شعر أحمد شوقي، فإن الشاعر محمود غنيم روي أن أحد زملائه الأدباء من تلاميذ الكاشف الذين ينتمون إلى قريته القرشية أكد له نسبتها إلى الكاشف وأشار إلى أنه لم ير هذه الأبيات في ديوان شوقي،

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن من الجدير بالذكر أن ديوان شوقي يتضمن تلك القصيدة الضخمة في رثاء أحمد فتحي زغول باشا:

يا أحمدُ القانون بعدك غامضٌ قلق البنود مجلل بسواد
والأمر أعوجُ والشئون سقيمة مختلة الإصدار والإيراد
والقول مختلط الفصيح بصدده تبكي جواهره على النقد

أرجوزته الوطنية الشهيرة

كانت وطنيات الشاعر أحمد الكاشف صادقة الحس، وجيدة التعبير عن المعاني الوطنية العميقة، ومنها هذه الأرجوزة الرائعة التي جرى العتب فيها في عهد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بحذف بعض ما يشتمل على كلمات تشير إلى الولاء لدولة السلطان العثماني والغازي:

يا ليتني كنت حساماً ماضياً أو مدفعاً بالمهلكات رامياً
أو معقلاً عالي البناء نائياً أو كنت طراداً أشم حامياً
أو عسكرياً مستعداً غازياً أذود عن قومي وعن سلطانيا
وأضرب الخصم العنيد العادياً حتى أرى دمي النفيس الغاليا
على الثرى بين الصفوف جارياً تمضى مذاكيهم على أشلائيا
فيتلاشى جسدي تلاشياً أو أحرز النصر على أعدائيا
فأنثني مكبراً مباحياً وقد أظل أرضهم لوائيا
وقام بالذل عليهم قاضياً فاعتز بين أمتي مقامياً
ونلت حسن الذكر والمعاليا أولى من العجز الذي أبكانييا
حتى خسرت في الجوى شبابياً لا هم لي غير امتلاء باليا
بكل أمر لا يعيد ماضياً أشكو العدى وأنشد القوافيا
وما أجاب أحد ندائياً ولا رثى لي من رأى شقائيا
خليفةً الله بقيت ناجياً من الخطوب في الجهاد ساعيا
ودام خير الأنبياء راضياً عنك وعيش المسلمين صافيا

تصوره لدور المال في المجتمع

ومن اجتماعياته الجميلة قصيدة الطموحة التي يصور فيها بخفة و رشاقة الوظيفة الاجتماعية والسياسية للمال:

لو أن أموال (روكفلر) آلت لل
وبنيت للسلطان خمس بوارج
ونشرت ألوية البحار بمكة
ومددت دجلة والفرات ليرويا
وشريت في السودان أرضا خصبة
وأسبق الشركات في غاياتها
وبنيت مستشفى ومدرسة وبستانا
وجعلت للشعراء رزقا طيبا
وإذا أتى ذو كدية مستقرضا
بر كفي أجرا عليه أن أري

فتى لفعلت لمصر ما لا يفعل
يختال في نعمي عليها الجحفل
يدنو بها ناء ويغلو مهمل
ذاك الثري الصادي ويعشب محل
أحيي بها المسترزقين وأشغل
حتى يكون لنا المقام الأول
بقريتي التي هي أفضل
يحمي أرق الناس أن يتذللوا
أقرضته والحمد ربحي الأجل
متنعما مرحا به يتمثل

حبه للعدالة الاجتماعية وتبشيره المبكر بالاشتراكية

ويرتبط بهذا ما عبر به الشاعر أحمد الكاشف عن ميل مبكر وصريح للعدالة الاجتماعية وحديثه عما يمكن للاشتركية أن تحققه:

للاشتركية العقبي إذا شملت
فلا الكثيرون ملك للأقلينا
ولا تري واحدا ملأى خزائنه
ولا تري ذرة في رأس محتكم

شتي الشعوب وجاراها المجارونا
ولا الأقلون ملك للكثيرينا
بالمغنيات وآفا يجوعونا
تهفو إليها قلوب المستظلينا

فرحته بإقامة خزان أسوان

وهذه أبيات للشاعر أحمد الكاشف من قصيدة عنوانها (الخزان) تدلنا على أنه كان من الحريصين على الابتهاج بمظاهر الإصلاح العمراني والاقتصادي وهي أبيات كانت صالحة للاقتباس في مديح السد العالي لولا ارتباطها بالخزان :

أي فخر يا أيها الهرمان
قمتما تخبران عن سالف الظلم
وتروعان كل قلب بذكري
أنتما مثله علوا وكبرا
غير أن الخزان دل على الرفق
شاده القوم طائعين ومسرورين
لكما بعد ذلك الخزان؟
وأهواله بغير لسان
دولة أضعفت بني الإنسان
أثر دائم دوام الزمان
وأهدي الغني إلى الأوطان
حبا في الأجر والإحسان

استنقاذ ماء النيل من الضياع

و يصل الشاعر أحمد الكاشف إلى بيت من الأبيات الطريفة في تعبيرها عن
الفرحة باستنقاذ ماء النيل من الذوبان في البحر الأجاج:

نحن أولي من الأجاج بعذب
وهناء لمصر أن ينفق النيل
لن ترى أهلها الكرام يصابون
كان ينساب فيه قبل الآن
عليها بالقسط والميزان
بجذب يوما ولا طوفان

تقمصه لدور قيصر روسيا في حربه مع اليابان

كان الشاعر الكاشف من الشعراء المثقفين الموسوعيين ذوي الرأي والتوجهات
الواضحة والذين كانوا قادرين على أن يكونوا في طليعة من يتجاوبون بشعرهم مع
الأحداث السياسية العالمية ودلالاتها المتعددة، ومن ذلك أنه نظم أرجوزة طويلة عن
الحرب الروسية اليابانية، كانت قريبة في بنيتها من الشعر المسرحي، وقد بدأها
بالحديث على لسان قيصر روسيا وهو يشكو من تملك الأتراك لمنفذ البحر الأسود
إلى الشرق الأدنى مما يجعله يتجه بطموح شعبه إلى الشرق الأقصى :

مما كنتي تملأ سدس الأرض
فيها من الشعوب كل كابر
لكنها قليلة الثغور
لم يغني مالي في البلطيك
وما انتفاعي بعباب الأسود
فأست فيه سالكا طريقا
بسطي فيها مطلق وقبضي
ومن رجال الحرب كل قاهر
بعيدة البر عن البحور
عن مورد في غيره وشيك
ما دام محصورا بجيش الأسود؟
ما ملك الأتراك ذا المضيقا

علي أدني المشرقين استعصى
ولا أري لشعبي السمين
إن دان لي مغولها والتتر
فأفتح الدنيا إنن وأقهر
حسبي من القوقاز والقوزاق
لكنني أحذر كيد الدول

فلأمضين همتي في الأقصى
أكثر خصبا من بلاد الصين
أتيت ما لم يأته الإسكندر
كما أشتهي بطرس جدي الأكبر
نهما نطاق ملكي الراقي
إن لم أضللها بأقوي الحيل

وجدانياته

يروى الشاعر أحمد الكاشف بطريقة رومانسية جميلة تجربة وقوع فتى تركي في حب فتاة جميلة في حدائق دمشق ، وقد بادلته الحب ، والتلاقي ...:

صاح استمع خبرا يبدي لك العبرا
فتي من الترك في وادي دمشق رأي
أحبها وأحبهته فما لبثا
تواعدا بالتلاقي فوق منعرج
وكان في الحي واش من عداتهما
دري الشقي بسر الوعد بينهما
فبات في الموعد المضروب مرتقبا
حتي إذا سادت الظلماء لاح له
فصاح من ذلك الساري؟ فروعها
فأدبرت نحو دار الصب باحثة

أمسي حديث بني الأشواق والسير
بين الرياض فتاة تخجل القمر
أن أحدث الحب في قلبيهما شررا
عن الوري كان بالأشجار مستترا
فظ غليظ يحب الشر والضررا
وليته ألهم الإرشاد حين دري
لقياهما ثائرا الأحقاد منتظرا
ظل يسير الهويني مقبلا حذرا
لما بدا من تعديه وما ظهر
عنه فما علمت من أمره خبرا

هجرانه للشعر

مرّ الشاعر أحمد الكاشف بتجربة نفسية جعلته يراجع نفسه فيما وهبها له من فن الشعر وهو يتحدث في ديوانه الثاني عن هجرانه للشعر

حال دائي بين القوافي وبينني
لبلادي علي دين وما في
وبها من حوادث الدهر رزء
إن يوما لا أنظم الشعر فيه

فبكت عينها اشتياقا وعيني
قدرتي اليوم أن أوفي ديني
بات عجزني عن رده رُزءين
لبغيض إلي بني القطرين

اعتزاله حياة المدينة

كان الشاعر أحمد الكاشف يجد في خضرة الريف وسذاجة أهله ما يغنيه عن تعقد الحياة في المدينة والتواء أهلها، مع ما كان يعانیه من ضيق ذات يده ، وحرصه على تقليل متطلباته في الحياة ، وقد عبر عن هذه المعاني في قوله:

جمعت في العيد حولي سائر الأمل
أبا دعوني ومالي فيهمو ولد
أقمت في الريف لا أشفي بطاغية
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة
أطلت فيه اعتزال العالمين ولي
لقيت في عشرة الجهال عاطفة
وملتقي الأمل حولي كل أمالي
ولست للقوم غير العم والخال
من الرجال ولا لاه وختال
مما ملكت وماء فيه سلسال
بكل ناحية همي وأشغالي
لم ألقها من رجال غير جهال

حبه الشديد للفلاحين المصريين

عبر الشاعر أحمد الكاشف عن حبه الشديد للفلاحين المصريين الذين أثار أن يعيش بينهم تاركا معيشة القاهرة والمدن الكبرى:

إذا استبقيت في الدنيا حبيبا
كريم يملأ الوادي ثراء
فقير ما أراه شكا افتقارا
وكان معيشة الأسري قنوعا
فمحراث يشق الأرض عندي
كسيف في يد الجندي لاقى
فلو عرف الصواب الترك قومي
فأعلوه وارضوه وضنوا
فخير أحبتي فلاح مصر
ولا يلقي سوي الإجحاف أجرا
ولو يجزي على تعب لأثري
فكيف وقد غدا في الناس حرا
ويخرج من ثراها الخصب تبرا
به جيشا وحصنا مشمخرا
لما احتقروا له عملا وقدرا
به فأنالهم مجدا ونصرا

انتقادنا لبعض شعره المجامل

هذه أبيات من قصيدة عنوانها: (زلزال في دار الخلافة) تعتمد علي التوفيق فيما يسميه علماء البديع (حسن تعليل) وهو تعليل جميل مفتعل لا ينتمي للمنطق لكنه يساعد الشاعر على التخلص من التناقض الفكري الذي توحى به الأحداث :

قالوا لي الأرض في دار الخلافة قد فقلت مبتسما لا تهرعوا فزعا ملك أحاطت بسامي عرشه فتن وكاد يسقط من خوف فأدركه حتى استقرت رواسي العرش واتحدت فكيف في العيد لا يهتز من طرب مال الرعايا لدي استقباله فرحا	أصابها يوم عيد النحر زلزال فعندي السر إن صح الذي قالوا كم هددته بما يخشى وأهوال خليفة عادل للخير فعال لملك عثمان أعصاب وأوصال ولا يتيه على الدنيا ويختال به فمال سرورا مثلما مالوا
---	--

انتقادنا لانهجته غير المهذب لمحمد محمود باشا

وأخيرا فقد بلغ الشاعر الكاشف حدودا غير محمودة في الانحياز السياسي لمحمد محمود باشا عند توليه الوزارة خلفا للنحاس باشا في ١٩٢٨ حيث قال أسوأ أبياته بل أسوأ بيت في الشعر السياسي وهو قوله السخيف:

قالوا عليها سليمانبة ظهرت هل يطهر الرجس إلا بالسليمانبي

ديوانه

أصدر الشاعر أحمد الكاشف ديوانه في جزأين صغيري الحجم، صدر أولهما عام ١٩٠٤ [علي غلاف الجزء الأول ما يشير إلي أنه طبع سنة ١٣٢٠ هجرية] وقد صدر الجزء الأول بمقدمة ترجم فيها لحياته، وصدر الجزء الثاني عام ١٩١٤ [علي غلاف الجزء الثاني ما يشير إلي أنه طبع سنة ١٣٣١ هجرية] وقد قدر ما يضمه الديوان في جزأيه بما يقرب من أربعة آلاف بيت، كما ضم ديوانه مسرحية (معارك الحياة).

الفصل الثالث : محمد عبد المطلب

الشاعر السلفي مؤلف الإلياذة العلوية

محمد عبد المطلب (١٨٧١ - ١٩٣١) شاعر عربي بارز كما أنه أستاذ تقليدي [أو قديم] رفيع القدر للأدب والنقد واللغة ، و هو علم من أبرز أعلام الادب العربي في العصر الحديث ، عاش في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، مدتين متقاربتين من العمر مثل الشعارين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، وإن كان هو اقصر الثلاثة عمرا بفارق صغير عنهما .

كان الشاعر العظيم محمد عبد المطلب أديبا موهوبا ، كما كان شاعر مطبوعا وأستاذا دارسا، وكان في كل ذلك مجددا ومجيدا، سليم الفطرة، إسلامي النزعة. وقد امتاز الشاعر العظيم محمد عبد المطلب بكثير من عوامل التفوق والتميز في بنية شعره، وفي صورته، وفي موضوعاته، وهو فيما يرتبط بموضوع كتابنا هذا واحد من أبرز كبار شعراء النهضة الإسلامية الذين لم يكرّم جهدهم الرائد بعد ، وهو من بينهم صاحب الإلياذة العلوية أو «القصيدة العلوية»، التي نظمها في مائتين وستين بيتاً ، في مقابلة مع نظم حافظ إبراهيم للقصيدة العمرية ، و نظم الشاعر عبد الحلیم المصري للقصيدة البكرية أما الشاعر أحمد محرم فقد نظم ديوان مجد الإسلام.

نبدأ بطرفة وهي أن هذا الشاعر العظيم محمد عبد المطلب يشترك في اسمه مع مطرب عظيم كان هو الآخر سلفيا ، ولكن في غنائه ، و هو الفنان محمد عبد المطلب ١٩١٠ - ١٩٨٠ تلميذ الأستاذ محمد عبد الوهاب، وكأنما الاسم علامة على التوجه أو الأداء السلفي، ونردف بمعلومة أقل طرافة وهي أن الشعارين محمد عبد المطلب واحمد نسيم (١٨٧٨-١٩٣٨) عاشا ستين عاما بالتمام مع ما تمثله سن الستين للموظفين والشعراء.

كتابة الأستاذ العقاد عنه طُبعت كل ما كتب عنه

شاء حظ الشاعر محمد عبد المطلب أن يكتب عنه الأستاذ عباس محمود العقاد فصلا في كتابه «شعراء مصر في الجيل الماضي» وأن يأتي حديثه في إطار حديثه عن فهمه للتطور الشعري، وإذا بكل الأكاديميين والباحثين الذين كتبوا عنه بعد ذلك يستسهلون إعادة إنتاج ما كتبه الأستاذ العقاد، وإعادة ترديد كل ما ورد في ذلك الفصل الذي كتبه الأستاذ العقاد، وهو الفصل/ المقال الذي أصبح بمثابة النموذج الأمثل للمقال (الفصل) الذي نقل عنه الجميع واكتفوا بما نقلوه، وكأن هذا المقال/ الفصل [أو الفصل/ المقال] يمثل مجموع ما كتب عن هذا الشاعر العظيم.

ومما يتعجب الانسان منه في تاريخنا الأدبي أيضا أنه علي حين نقل الأستاذ العقاد عن الأستاذ أحمد الإسكندري ما كتبه في تقديمه لديوان عبد المطلب وأثبت نسبة ما نقله عنه إلى المنقول عنه وهو الأستاذ الإسكندري ، فإن مَنْ نقلوا عن الأستاذ العقاد أهملوا النظر فيما كتبه الأستاذ الإسكندري، وفي نسبته إليه، مكتفين باستنتاجات الأستاذ العقاد، وما نقله عن الأستاذ الإسكندري من دون إشارة إلي الأستاذ الإسكندري، وكأن كلام الأستاذ الإسكندري جزء من كلام الأستاذ العقاد، هذا فضلا عن إهمالهم لما نظمه الشاعر محمد عبد المطلب نفسه.

الطابع البدوي في شعره

نبدأ بأن نذكر أن الشاعر محمد عبد المطلب أُقب بالشاعر البدوي، وشاعر البادية، لكثرة تغنيه بأعلام البادية، وقد وصف الأستاذ العقاد شعره بأنه أقرب ما يكون إلى النموذج الشعري في صدر الدولة الإسلامية، في الأسلوب والخيال والموضوعات.

والحق أن الشاعر محمد عبد المطلب كان نموذجا بارزا لفهم مختلف لحركة الإحياء الشعري التي نسبت إلي البارودي وجيله، وهو - في رأينا - فهم أكثر أصالة من فهم البارودي باشا نفسه ، ومن فهم الأستاذ العقاد أيضا، ذلك أن الشاعر محمد

عبد المطلب لم يكن من المتصلين بالحركة الأدبية والشعرية في الثقافات الأخرى، ولعله لم يكن يحس بالحاجة إلي ذلك، وقد عوض هذا بتمكنه من الثقافة العربية والإسلامية، وتعويله التام عليها، ولسنا نجد صعوبة في أن تصور للقراء أن تصميم بناء مبنى على الطراز الروماني أو القوطي لا يقل قيمة عن تصميم بناء معماري حديث، وأن الطراز الروماني ليس نموذجاً واحداً فحسب ولا تصميمياً واحداً فحسب، وكذلك الأمر في الشعر العربي وإن كانت المفردات والمعايير تختلف.

ومن الحق أن الأستاذ العقاد كان صوت جيله في التعبير عن تقييم الشاعر محمد عبد المطلب وغيره، لكن النضج الذي أتاحه لنا الزمن يمنعنا من أن نقف عند أحكام الأستاذ العقاد وكأنها نهاية المعايير والتقييم . .

كان غزير الإنتاج

على وجه العموم فقد كان الشاعر محمد عبد المطلب ميالاً في شعره إلى تمثّل روح الحكمة، واستخدام غريب الألفاظ، و كان غزير الإنتاج، وقد نظم شعره في مطولات وقصائد متوسطة الطول، وتفوق في التعبير عن المناسبات المختلفة من تهنئة، وعتاب، واحتفال بمناسبة عامة، ومعارضات، ووصف، وثناء أعلام عصره، وغزل ونسيب، وحماسة، وفخر بالأمجاد العربية، وتعبير عن القضايا الاجتماعية ونقد أوضاع المجتمع، والتوشيح. وللشاعر محمد عبد المطلب أيضاً قصائد في الحنين إلى موطنه جنوبي مصر، ووصف الطبيعة وجمالها هناك.

وكان قادراً على تنويع أشكال إبداعه

مما قد يتعجب له القارئ أن الشاعر محمد عبد المطلب كان من الذين ارتادوا مجال المسرح الشعري، وهذا أمر غير مشهور لأسباب معروفة، وقد نظم مسرحية شعرية بعنوان «ليلي العفيفة»، وأخرى بعنوان «المهلهل بن ربيعة وحرب البسوس»، و ارتاد الشاعر محمد عبد المطلب ميدان الشعر الملحمي فنظم «القصيدة العلوية»،

في مائتين وستين بيتاً من بحر الوافر وروي الميم . وعلى صعيد ثالث فقد نظم الشاعر محمد عبد المطلب الموشح كما نظم القصيد.

توجهه السياسي و الفكري

لم يكن الشاعر محمد عبد المطلب يفهم وظيفته في الشعر على نحو منفصل عن توجهه الفكري في الحياة الدنيا، وأمور العقيدة الدينية، وإذا جاز أن يوصف واحد من رواد الشعر العربي المعاصرين لأحمد شوقي ١٨٦٨- ١٩٣٢ وحافظ إبراهيم ١٨٧١- ١٩٣٢ بأنه سلفي فإنه هو الشاعر محمد عبد المطلب (١٨٧١ - ١٩٣١) على حين كان أحمد محرم (١٨٧٧ - ١٩٤٥) وأحمد الكاشف (١٨٧٨ - ١٩٤٨) مرتبطين ارتباطاً وجدانياً بالدولة الإسلامية القائمة في ذلك الوقت ، وقد كان أولهما أحمد محرم كما وصفناه في هذا الكتاب آخر شعراء الخلافة الإسلامية، وكان ثانيهما أحمد الكاشف قد ظل (كما وصفناه في كتابنا هذا أيضا) عثمانياً طيلة حياته، أما عبد الحليم المصري (١٨٨٧ - ١٩٢٢) فقد ظل مرتبطاً وجدانياً بدولة محمد علي وأسرته فحسب، وعلى حين كان احمد نسيم (١٨٨٨ - ١٩٣٨) مرتبطاً وجدانياً بالبريطانيين ومعبراً عن الاعجاب بهم مع قدر من الانتماء لتوجهات الحزب الوطني، وان كان هذا غريباً بعض الشيء!

أما الشاعر محمد عبد المطلب فقد كان سلفياً بكل ما تعنيه الكلمة، وكان سلفياً في شعره حتى ان الأستاذ الاسكندري قال ان سامعه لا يكاد يفرق بينه وبين شعراء أهل القرنين الثالث والرابع، وكان سلفياً في توجهه الديني، و سلفياً في توجهه الحضاري، وكان سلفياً في توجهه الإصلاحى والاجتماعى .

وهو في قصيدته الدين للعرمان يُعبر عن المعنى السلفي بطريقة مجملة تلمس المشكلات الفكرية وتقاربها بذكاء مبسط ينتمي إلى ما يمكن لنا تسميته بالذكاء التعليمي الذي يخلو من الفلسفة والجدل، ويعول على الإيمان الصحيح، والتدين الصريح، ويعنى بالاستقامة وما تمثله من ضمان لخيري الدنيا والآخرة، وكان

الشاعر محمد عبد المطلب ، بهذا الأسلوب في وقته، وحيدا في مدرسته الأدبية التي استقامت لها صحة الأسلوب من طريق الدعوة الدينية، وكان أوضح دليل حي على دور الدعوة الإسلامية في تخليص الشعر العربي من آفات الزخارف الشكلية.

نشأته

قال الأستاذ أحمد الإسكندري ضمن ما قال في التعريف به في صدر ديوانه إنه ينتمي في سلسلة نسبه إلي «عشيرة أبي الخير»، وهي من عشائر «جهينة» نزلت مصر مع الفتح الإسلامي مع بطون قضاة، وهكذا كانت لديه دوافع «العصبية» إلي جانب الدوافع الدينية والأدبية.

وذكر الأستاذ أحمد الإسكندري نسبه فقال إنه محمد بن عبد المطلب بن واصل بن بكر بخيت بن حارس بن قراع بن علي بن أبي خير، ولد ببلدة «باصونة» إحدى قري جرجا من أبوين عربيين ينتميان إلي أسرة أبي الخير، وأبو الخير هذا (وهو الجد السابع للفقيه) أبو عشيرة من عشائر جهينة، تربي علي خمسة آلاف عدا، ويشاركها في الانتماء إلي جهينة عدة عشائر تناهز الخمسين ألفا...».

وقال الأستاذ أحمد الإسكندري أيضا :

"وكان والد الفقيد رجلا صالحا، متفقا، متصوفا...، محبوبا عند جميع عشائر جهينة، أخذ طريق الصوفية الخلوتية عن شيخ الطرق الشهير إسماعيل أبي ضيف، ثم كان خليفة له بناحية جهينة».

«وكان الشيخ إسماعيل أبو ضيف يتوسم في عبد المطلب منذ صغره النجابة، وطلاقة اللسان، فما علم أنه حفظ القرآن الكريم دون أن يبلغ العاشرة حتى أمر أباه بإرساله إلي الأزهر الشريف حيث ينزله في بيته بين أولاده وأسرته بجهة طولون، فجاور عبد المطلب الأزهر نحو سبع سنين، ثم انتظم في سلك طلبة دار العلوم أربع سنين».

وصف معاصرو الشاعر محمد عبد المطلب بعض سماته فقالوا إنه كان رجلاً ملتزماً قديماً ، يحفظ القرآن الكريم ويقرأه ببعض الروايات ، وكان شديد الحفاظ على شعائر الإسلام وأثاره ، عاملاً على نشر آدابه.

تكوينه الثقافي والسياسي

كان الشاعر محمد عبد المطلب من الرعيّل الأول من خريجي مدرسة دار العلوم ، وقد درس فيها ، وفي الأزهر من قبل ، علي يد كبار المعلمين من أمثال الشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمود العالم ، والشيخ حسونة النواوي ، والشيخ سليمان العبد ، وقد تخرج ١٨٩٦ ، في الدفعة السابقة مباشرة على دفعة الاستاذين الشيخين عبد العزيز جاويش واحمد بك إبراهيم ، والسابقة بدفعتين على دفعة الأستاذ أحمد الاسكندري أستاذ الأدب العربي الذي تولى تقديم ديوانه والتعريف بتاريخه.

وظائفه التعليمية

عمل الشاعر محمد عبد المطلب معلماً في مدارس التعليم بمدينة سوهاج ، وتنتقل بينها ، ثم انتقل إلى القاهرة حيث اختير مدرساً بمدرسة القضاء الشرعي ، وعمل معلماً للغة العربية بالأزهر ، ثم نقل إلى ديوان الأوقاف الملكية . وفي العقد الأخير من حياته ووظيفته ١٩٢١ - ١٩٣١ توج نجاحه الوظيفي و الأدبي بأن عمل أستاذاً في دار العلوم.

نشاطه الاجتماعي البارز

وعلى صعيد آخر فقد كان الشاعر محمد عبد المطلب من أبرز رموز المجتمع المدني وكان من أهم أعضاء ثلاث جمعيات هي جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية ، وكانت له في كل واحدة من هذه الجمعيات آثار محمودة.

مشاركته في ثورة ١٩١٩ و رثاؤه للزعيم محمد فريد

شارك الشاعر محمد عبد المطلب في ثورة (١٩١٩) بخطب وقصائد جعلته واحدا من أبرز شعراء الثورة و الوطنية بل إن بعض قصائده في الرثاء تعتبر بمثابة شعر وطني صرف مثل مرثيته الفائية في الزعيم محمد بك فريد.

الطابع الكلاسيكي لشخصيته

كان الشاعر محمد عبد المطلب (كما وصفه الأستاذ السكندري) حجة في الأدب واللغة، محيطا بأكثر جزلها وغريبها، ولهذا فليس من الصعب علينا أن نفهم فهما موازيا لفهم الأستاذ العقاد في تقييمه لشعر عبد المطلب، على نحو يعنى بالشعر من حيث هو مرتبط باللغة والفصاحة اللغوية، بل بما يمكن لنا أن نسميه حضارة البادية العربية في صورتها المكتملة، رغم ما قد يعتقد من أن البادية والحضارة نقيضان (على نحو ما يفهم لأول وهلة من قول المتنبي في بيته ذائع الصيت: شعر الحضارة مجلوب بنطرية)، وفي هذا الإطار فقد كان عبد المطلب يبدأ قصائده باستنزال الغمام، والوقوف على الأطلال، وذكر الأراك، والنوي، كما كان يفعل القدماء.

توجهه السلفي في قصيدته : الدين للعمران

يبدأ الشاعر محمد عبد المطلب هذه القصيدة بوصف ما يعتريه من الشوق وهو بعيد عن يشتاق إليهم، وهو يصف حال هذا "الشوق" في أربعة أبيات قبل أن يتوجه بالخطاب في البيتين الخامس والسادس إلى من هو مشتاق إليهم:

جَرَى مع الشوق حتى عَزَّهُ الأَمَدُ
نَاءٍ قَضَى النَّيْنُ فيه حكمه فهوى
صَادٍ على النيل لا يُرَوِي جوانحه
يشوقه العَوْرُ إن هَبَّت يمانية
يا جيرة الغور قد شَطَّ المزار بنا
ولم نَحُلْ عن عهود بيننا سلفت
واستتجز الدمع لما شَفَّه الكَمَدُ
تحت الصَّبابة لا ركن ولا عَمَد
إذا تَرَوَى به الصادون وابتردوا
أو رَوَّحَ الركب حَادٍ بِاللَّوَى عَرْد
وباعدت بيننا الأغوار والنُّجْد
إذ حال قوم عن العهد الذي عهدوا

الشاعر ينتقل من حال إلى حال

وفي البيت السابع يستأذن الشاعر محمد عبد المطلب في أن يزور، ويطلب الموافقة على الزيارة، ويقول إن مثل هذا الوعد الطيب كفيلاً بأن يجعل حياته برداً وسلاماً ثم هو يعود في البيت الثامن وما بعده إلى وصف اعتساف الشوق وتعكر الأيام، وتذكر الأهل بالغياب عنهم ويبلور هذه المعاني الدقيقة في بيت رائع هو البيت الحادي عشر الذي هو على بساطته يوجز التعبير عن المعاناة من الوحشة إيجازاً دقيقاً وموحياً:

أهل المصلّى عدونا أن نلّم بكم
طالت نواكم فطال الشوق واعتسفت
حالت بشاشاتُ هذا الدهر واعتكرت
أنكرتُ قومي فلا قُربى ولا رحمٌ
يا رحمتا لغريبٍ بين عنترته
إن المشؤوق بطيب الوعد يبتدر
بنا الليالي فلا صبر ولا جلد
أيامنا وأقضّ المنزل الرغد
وأنكروني فلا أمّ ولا ولد
نبا به العيش حتى أوحش البلد

وصف بيئة مكة المكرمة

ويستأنف الشاعر محمد عبد المطلب في الأبيات التالية وصف حال هذا القريب المستوحش، ففي البيت الثالث عشر يشير إشارة صريحة إلى بطاح مكة فتبدو الصورة الشعرية التي رسمها، وقد اكتملت معالمها، واتضحت حدودها، وأصبحت في سبيلها إلى المزيد من التفصيلات.

يُدري الدموع إذا ما الركب أزعجهم
يا نازلي ذلك الوادي تموج بهم
هل يُبلغُ الركبُ عن قلبي إذا نزلوا
أحبابنا ضاقت الدنيا بما رحبت
داعي السُرى فتنادى البين وانجدوا
بطاخ مكة والعلياء والسند
ذاك الحمى لوعةً الوجد الذي يجد؟
والدهر في صرفه يغلو ويحتشد

تباطؤ المسلمين في نصره الدين

ولهذا يبدأ الشاعر محمد عبد المطلب من البيت السادس عشر في إظهار عجبه مما يعتري الإسلام وأهل الإسلام من وحشة بسبب الفساد وبسبب تباطؤ المسلمين في نصره دينهم.

أكلّ يوم لنا في الدين مرزئة
في كلّ وادٍ على الإسلام منتحب
مستوحشاً في ديارٍ كمّ قضتْ حَقَباً
يسعى الفساد إليه غير مُتُّد
تهتَز من وقّعها الدنيا وترتعد؟
وكل وادٍ به للدين مَفْتَقَد
في ظله سروات الأمن تُفْتَعَد
لما رأى أهله في نصره أتأدوا

الاعتذار إلى الله

ثم يلجأ الشاعر محمد عبد المطلب في البيت العشرين إلى التوجه بالاعتذار إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو منزل الدين، معتذراً إليه عما فعله أهل الدين من الخروج على الدين مؤثرين حب الضلال.

يا مُنْزَلَ الدين أهلُ الدين قد خرجوا
ضَلُّوهُ جَحْداً لِمَا أودعت من جِكم
بغياً عليه وعن منهاجه حَرَدُوا
فيه ولو أنهم ذاقوه ما جَحَدُوا

تصوره للدين والحضارة

و ينتقل الشاعر محمد عبد المطلب إلى عرض تصورهِ عن الدين بدءاً من البيت الثاني والعشرين وهو التصور الذي لخصه في عنوان قصيدته بكلمة واحدة هي أن العُمران هو مقصد الدين، وهو يفصل القول في هذا المعنى بادئاً بالقول بأن الدين نظام حياة كفيل بإسعاد الناس، وبهذا التصور الذي يؤمن بأن الله جلّ جلاله لم ينزل لعباده إلا الخير يظهر الشاعر محمد عبد المطلب اطمئنانه إلى ما يمكن للدين أن يحققه للناس من سعادة إذا هم أطاعوه وهو المعنى الذي يلخصه البيت الثامن والعشرون بكل وضوح: من شاء أن يبلغ الدنيا بلا كدر / فالدين كالروح والدنيا له

جسد:

ما الدين إلا نظامٌ للحياة إذا
لُطِّفَ الخبيرُ وتدبيرُ القديرِ وَمَنْ
ورحمَةُ البارئِ الرحمنِ مَنْ بها
سبحانه لم يَكِلْ قومًا لأنفسهم
فأنزل الدين للعمران مَعْدَلَةً
لا يرتجي الله من نفع إذا صلحوا
من شاء أن يبلغَ الدنيا بلا كَدَرٍ

سار الأنام على منواله سَعِدُوا
هو البصير بنا والسيِّدُ الصَّمَدُ
على العبادِينَ مَنْ زاغوا وَمَنْ عَبَدُوا
حتى يحاروا فيستغويهم الفَنَدُ
على قواعده العُمرانُ يعتمد
به، ولا يتقي ضُرًّا إذا فسدوا
فالدين كالروح والدنيا له جسد

دعوة النبي عليه الصلاة والسلام

وينطلق الشاعر محمد عبد المطلب في البيت التالي مباشرة إلى الحديث عن دعوة النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ويصف حال العرب قبل بعثة النبي عليه السلام وبعد أن أصبحوا سادة الدنيا، وأصحاب المكانة العليا في التاريخ، وعلموا الناس مظاهر الحياة وجوهرها وأسرار الوجود بدون جفاف أو جحود.

دعا إلى الله خيرُ المرسلين به
كانوا حفاةً عُراةً ليس يجمعهم
حتى إذا استفتحوا باب الحياة به
إذا بهم سادةُ الدنيا وقادتها
بنوا، فلن تهدمَ الأحداثُ مارفعوا
وعلموا الناس أسباب الحياة وأسـ
مجد به تشهد الدنيا وإن عميت
تراث أحمد بل معنى الرسالة لا

قومًا على أم الدنيا به مَجَدُوا
شمل ولا يتعزَّى باسمهم بلد
وجاهدوا باسمه في الله واجتهدوا
تبؤؤوا غارب التاريخ واقتعدوا
ولا تُعَقِّي يَدُ الأيام ما مَهَدُوا
ررَّ الوجود فما جفوا ولا جمدوا
أبصارُ قوم فما راؤوا ولا شهدوا
ما أتلَدَ الناسُ من مال وما اعتقدوا

إهداء قصيدته للنبي عليه السلام

ثم يخاطب الشاعر محمد عبد المطلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في البيت السابع والثلاثين وما بعده مُهديا قصيدته إليه ويختم قصيدته ببيتين الأربعين والحادي والأربعين يتوجه بهما إلى قومه بالنصح الواعظ الصادق:

يا أكرمَ الناس عند الله منزلةً وخيرَ مَنْ ولدت أمُّ وما تلد

إليك يُزجي قصيد الشوق حافلةً
على سبيلك ساروا في دعايتهم
يا قومنا إنما الدنيا إلى أجلٍ
من يعرف الله يعرفه الإله وما
قومٌ لنصرك في نشر الهدى قصدوا
إلى الهداية ما قاموا وما قعدوا
وإن تراخت بنا الأجال والمُدَد
تُقَدِّموا عنده من صالح تجدوا

أروع قصائده : القصيدة العلوية

تتجلى شاعرية الشاعر محمد عبد المطلب في هذه القصيدة الجميلة التي ندعو الله أن يهبنا من العمر ما يتيح لنا دراستها دراسة موسعة هي وأخواتها ، وتقدم القصيدة حياة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تقديمًا متوازنًا يعنى بالحقيقة مع حب ظاهر ، و افتخار متواصل ، و قد حرصنا في النص الذي ننشره هنا في هذا الكتاب على أن نضم للقصيدة كل الأبيات التي نشرت (في بعض المصادر من دون الأخرى) على أنها منها، ذلك أن القصيدة ليست متاحة على هذا النحو كله في المصادر المتعددة لها ففي كل مصدر من هذه المصادر نفتقد بعض أبيات هنا أو هناك . وقد حرصنا في العناوين الجانبية لهذه القصيدة ، وبعضها موجود في طبعات سابقة ، على أن نيسر البحث في القصيدة لمن يريدون أن يستذكروا أيا من مقاطعها الجميلة .

وإذا كان لابد لنا من وصف مركز لهذه القصيدة في كلمة واحدة فإننا نقول إنها نموذج للقصيدة الرائقة : رائقة الفكر ، و رائقة العرض، و رائقة الحجة، ورائقة الاستشهاد ورائقة الاستدعاء :

مقدمة القصيدة

أرى ابن الأرض أصغرها مقاماً
زهاه رونق الخضراء لما
فشد على كواكبها مغيراً
على بنت الهواء كأن طيفاً
إذا ما هزمت في الجوم خلنا
وإن زجر الرياح جرت رخاء
فهل جعل النجوم بها مراما
تلفت في مجرتها وشاماً
وحلق في جوانبها وحاماً
يشق الجوم يقطعه لماماً
جبال النجم تنهد انهداماً
وولت حيث يأمرها الزماماً

تراه على الذرى شق الغماما
تخوض بها المهامة والأكاما
بها النيران تضرطم اضطراما

يسف على الثرى طوراً وطورا
أجدك ما النياق وما سراها
وما قطر البخار إذا استقلت

يتمنى لقاء الإمام ويذكر ألقابه

ألقي على السحب الإماما
وأول مسلم صلى وصاما
نثاراً في مديحك أو نظاما
وإن كانت مسومة كراما
رمىت بها مكاناً لن يراما

فهب لي ذات أجنحةٍ لعلي
إمام بني الهدى وهو ابن تسع
أبا السبطين كيف تفي المعاني
مقامٌ دونه نجب القوافي
فحسبك يا أبا الشعراء عذراً

وصف الامام علي في حديثه

فتكشف عن مناقبه اللثاما
أناف على غواربها سناما

وما أدراك ويحك ما عليّ
ومن هو كلما ذكرت قریش

علي في صباه وإسلامه

إذا ذكر الهدى ذاك الغلاما
ولما يعد أن بلغ الفطاما
أتى طه لينذرهم فقاما
غدت بالسبق أوفرهم سهاما
إلى الحسنى فسموه الإماما
جميعاً عند ربهم قياما
وتقرئهم عن الله السلاما
ولم يسلك محجته اقتحاما
ليجمع رأيه يوماً تاما
جلالاً يصغر الشيخ الهماما
بحبل الله يعتصم اعتصاما

تبصر هل ترى إلا علياً
غلامٌ يبتغي الإسلام دينا
إذا الروح الأمين ب "قم فأنذر"
وأمتهم إلى الإسلام أمّ
وصلى حيدر فشأى قریشاً
كأنى بالثلاثة في المصلى
تحيايهم ملائكة كرام
وما اعتنق الحنيف بغير رأي
ولكن النبوة أمهلهته
فأقبل والحجا يرخ عليه
يمد إلى النبي يد ابن عم

موقف العشيرة من النبي عليه السلام

لينذر في رسالته الأناما
وشيح في ضلالته تعامى
وذلك عن ملامته تحامى
أطاع الصمت واجتنب الكلاما
إذا ما خاف كل أخ وخاماً
تصارحه العداوة والخصاماً
على الإسلام تلتهب احتداماً
مراجله وتهزم اهتزاماً
على ريبٍ ولم يشدد حزاماً
كشبل الليث يعترم اعتراماً
فلا ضيماً يخاف ولا ملاماً
على درج النهى عاماً فعاماً
خلائق تجمع الخير اقتنماً

وإذ يدعو العشيرة يوم جمع
فكهل في جهالته تولى
وهذا يوسع المختار لوماً
وأخر لا يبين له جواب
وأيده على التقوى أخوه
ولجت في عمايتها قريش
وجاشت بين أضلعها قلوب
فما فعل الفتى والشر تغلي
مضى كالسيف لم يعقد إزارا
يروح على مجامعهم ويغدو
صغير السن يخطر في إباء
وما زالت به الأيام ترقى
وقد جمع الحجا والدين فيه

علي في العشرين من عمره

شهدنا من عظامه عظاما

فما أوفى على العشرين حتى

استخلافه ليلة الهجرة

عشية ودع البيت الحراما
لغير الله تكبر أن تساماً
تسجى في حظيرته وناماً
لحرب الله تنتحم انتحاماً
ولم تقلق بجفنيه مناماً
لهم يقضي به الليث ازدنماً
ولم تر ذلك البدر التماماً
مع الصديق يدرع الظلاماً
إلى الزوراء تعتزم اعتزاماً
على وجدٍ به يشكوا الأواماً

فلن ينسى النبي له صنيعاً
عشية سامه في الله نفساً
فأرخصها فدئاً لأخيه لما
وأقبلت الصوارم والمنايا
فلم يأبه لها أنفاً عليّ
وما زاموا الفتى ولرب بأس
وأغشى الله أعينهم فراحت
عموا على أحمدٍ ومضى نجياً
وغادرت البطاح به ركابُ
وفي أم القرى خلى أخاه

أقام بها ليقضيها حقوقاً على طه بها كانت لزاما

علي بالمدينة

فإن يك عهده فيها وبالاً فكم طابت به للحق نفس على الطاغوت أو داء عقاما بطيبة حين أوطنها مقاما

دفاعه عن الدين

وكم شهدت له الزوراء يوماً فسائل في المواطن عن فتاها وخيل الله في الجلبات شعثُ سل الرايات كم راءت علياً

يوم بدر

كأنني بابين عتبة يوم بدر ولو علم الوليد بمن سيلقي رويد بني ربيعة قد ظلمتم وصلناكم بها وقطعتموها فهل ينسون للفرقان يوماً لقد ظنوا الظنون بنا فخابوا وهل وجدوا كفتيتهم علياً

صهر النبي وزفاف السيدة فاطمة له

وما صهر النبي إذا تنادوا ومن تهدي البتول له عروساً بأمر الله زفوها إليه كأنني بالملائك إذ تدلت فلو كشف الحجاب رأيت فيه أطفوا بالحظيرة في جلال تفيض على منصتها وقاراً كمن يدعو ربيعة أو هشاماً بنى في النجم بيتاً لا يسامى عشية راح يخطبها وساماً بصحن البيت تزدهم ازدحاماً جنود الله تنتظم انتظاماً صفوفاً حول فاطمة قياماً وتكسو حسن طلعتها وساماً

ولم تبلغ بجلوتها مراما
رسالته وزوجها الإماما
وشملاً زاده الحب التئاما
بما اعتادا من التقوى لزاما
بركن البيت للصلوات قاما
وأكرم من تلثمت اللثاما
إذا التطمت زواجرها التطاما

فلا يحزن خديجة أن تولت
تولاها الذي ولى أباهما
قران زاده الإسلام يمناً
فما تبعها الفتوة وهي عذر
ولم يشغلها حل ولكن
فإن تك خير من عقدت إزاراً
فما شغلته عن خوض المنايا

موقعة أحد و بطولة علي

وقد حاك العجاج بها وأما
يهزون المثقف والهذاما
على الدقعاء يلتهم الرغاما
بأم الأرض ترتطم ارتطاما
فراراً لا أسميه انهزاما
جرى أزلاً فأخطأ واستلاما
وإن قضت الخطيئة أن يلاما
تعادوا حول موقفه حياما
كما نبهت من سنة فداما
وعاد بياض نورهما سحاما
لعل الموت عاجله اختراما
أخي في الخطب جنباً أو خياما
فغالته اجترأ واجتراما
رسول الله لم يرد الرجاما
ليبعثه بحضرته مقاما
فأنذرهم بلاءً واصطلاما
سئمت العيش والدنيا سآما
هوى الباز يعتبط الحماما
وطاحوا في مصارعهم حطاما
بجند الكفر يصطدم اصطداما

فسائل عنه في أحد العوالي
وجاءت في زمازما قريش
فقطر كبشها وهوى صريعاً
هوى من تحت رايتهم فخرت
فويح المسلمين هناك ولّوا
كآدم إذا عصى والأمر حتم
كلا الفعلين صاحبه كريم
فأرجف بالنبي هناك قوم
تداعوا حوله ولهم عواء
فلما غاب عن عيني على
أتى الشهداء مفتقداً أخاه
أخي بأبي يخيم يفر حاشى
أم اجترأت عليه يد العوادي
كأنني بالرجام تقول وحيأ
لعل الله أصعده إليه
إذا رفع الإله نبي قوم
فبئس العيش بعدك يابن أمة
وحطم غمده وهوى إليهم
فطاروا عن مواقفهم شعاعاً
وألقي ثم أحمد في رهاها

في يوم الخندق

فذاك ولو ترى إذ جاب قوم

منزلته لعمر بن ود

يزيد على مخيلته عراما
حذار الموت تنتهم انتهاما
بها ألبستني ذمّاً وذاماً
فلا لحمّاً تركن ولا عظاماً
مسخن به مناقبي القداما
وشهب الموت ترجمه ارتجاما
فتسعى تحت صارمه اختداما
وتستن الضراغمة انهزاما
ببدرٍ خار من فرق وخاما
وتبهرهن أحداثي إذا ما
خلقت لكل مقدمة قدامي
تدور بها الندامة لا الندامي
هلاً فالمجد إن تمضي أماما
فغم الهول حين دعا وغاما
كما تشكوا مزنمة صداما
يسوم الخلد بالنفس استياما
وإن كانوا القساورة الكراما
تصيب في حميته جماما
وزاد إلى اللقاء جوى فقاما
وإن لكل ذات جنئٍ جراما
رسول الله أجلمه الحساما
رغاء الفحل يعتلك اللغاما
ببأس الله يضطرم اضطراما
إذا لم أرو منه صدئٍ وهاما
وخاض السيف في دمه وعاما
ويزخر في حميته جماما

وأقبل في لباس البأس عمرو
يدافع نفسه ولها غطيظ
ردى حسبي هناة يوم بدر
لقد أكلت نساء الحي عرضي
ملن بطاح مكة بي حديثا
يقلن وما درين مكان عمرو
قضى تسعين يخدم المنايا
يطيح المجر إن قيل ابن ود
فلما شام بارقة المواضي
ستنسيهن ماضية المخازي
فويحك أقدمي يا نفس إنني
أمام وهل أمامي غير كأس
ويا مهري مجالك دون سلع
فجال منازلأ ودعا مدلاً
يشول بأنفه أنفا ومحكا
نزال بني الهدى هل من كمي
يرردها فيحجم عنه قوم
هنالك لو ترى الكرار لما
إذا ما هم أقعده أخوه
مكانك يا علي فذاك عمرو
فقال وإن يكن عمراً فدعني
تقلد ذا الفقار وقام يرغو
يحدث نفسه ولها أجيج
وما عمروا ومن أنا ما غنائي
فلم يك غير أن فلق ابن ود
وعاد إلى النبي يفيض بأسا

وراح الكفر يرجف جانباه وأمسى غضب عزته كهاما

بطولته في يوم خيبر

وسائل يوم خيبر عن على إذ الرايات في جهد عليها وقامت للهيود بها جنود وظنوا في الحصون ظنون صايد فأقيل بالعقاب على خميس فشد على مناكبها وثاقا ولم تغن الحصون ولا الصياصي فتاروا للأسنة والمواضي

منازلة مرحب بن منسية

وأقبل مرحب في البأس يحبو يميل إذا انتمى صلفاً وكبرا ألم أك مرحباً يوم التنادي ألسنت لال إسرائيل غوثا وما علم الفتى أن المنايا وأن له من الكرار يوماً سلا ابن الخيبرية يوم وافى ضفا حلق الحديد عليه مثنى ولم أر قبل مرحب من كمي فشد على الإمام بذي سظام فزال مجن حيدر لا لوهن وما بطرفه فإذا رتاج فسل يسراه كيف تلقفته يقلبه بها ترساً ويغشى علاه بضربة لو أن رضوى فلم يعصمه من حين رخام وليس أخو اللئام وإن تزكى

وكان البأس صاحبه الأزاما كراكب لجة يشكو الهداما إذا ما الليث من فزع الأما إذا نشدوا بي البطل الهذاما خططن بذي الفقار له مناما عبوس الجو يحتبك الإياما وليث الله يرقبه رعاما وظاهر فوق بيضته الرخاما يثني في الوغى سيفاً ولاما نضاه لكل جامحة سظاما ولا ضعفت لمحملة سلامي هناك تخاله جبلاً تسامي وقد أعيأ تحمله الفئاما بيمناه الفتى موتاً زواما تلقاها لعاد بها هياما ولم يجد الحديد له عصاما لسيف الله في الهيجا لناما

رأى بان الخيبرية كيف لاقى وعادت خيبر لله فيئاً
بحيدر ذلك الأسد الرزاما يقسم في كتائبه اقتساما

زعامة الإمام عليّ في الوقائع الحربية

فدع عنك المواطن والمغازي فجبه للظغاة بها وجوهاً
ومن أجرى عتاق الخيل قباً يخوض بها المواطن معلمات
ومن سل الظبا فيها وشاماً وجدع للظلال بها حثاماً
فأوطأها المتالع والحثاماً ونصر الله كان لها علاماً

ورعه في إمامته وعلمه

فما وجدت كحيدرة إماماً غداه الروع يقدمها إداماً

الإمام عليّ في السلم

وسل أهل السلام تجد علياً حوى علم النبوة في فؤاد
سقاءه الحق أفواق المعاني وزوده اليقين به فكانت
رمى في عالم الأنوار سبجاً إلى سوح الجلال به ترامى
أمام الناس يبتدر السلاماً طما بالعلم زخاراً فطاماً
وهيمه به حباً فهاماً أفاويق اليقين له قواماً

نفس الإمام عليّ

ونفساً لم تذوق طعم الدنيا وذاها الدين مذ كانت فشبت
ونشأها على كرم وأيد زكت فسمت عن الدنيا طلاباً
طوى عنها على الضراء كشحاً ولا لذت من الدنيا طعاماً
على التقوى رضاعاً وانفطاماً وصاغ من الجلال لها قواماً
وأضنى حبها قوماً وتاماً وعاف نضارها تبراً وساماً

وجه الإمام عليّ

ووجهاً فاض نور الله فيه يروع الليث منظره عبوساً
فألبسه المهابة والقساماً ويخجل ضاحك الغيث ابتساماً

ترى فيه مخايل خندفيّ يسىما الحق يزدان اتساما

كرم الإمام عليّ وجوده

وفيض يدٍ من الوسمي أندى
على حب الطعام يصد عنه
سل القرآن أو جبريل تعلم
من الأبرار يغبون كأساً
علي والبتول وكوكباه

القرآن يثني على الامام

ثناءً في الكتاب له عبيزٌ
تقصر عنه أرواح الخزامي

قيامه الليل

وكم أجرى على المحراب دمعاً
إذا ما قام في المحراب قامت
صلاة الليل يجعلها سحوراً
ترى صبر القنوع له غذاءً
رأينا في الكهولة منه شيخاً
فما للدهر لم يعرف حقوقاً

موقف الإمام عليّ في الفتنة الكبرى

خليلي أربعاً وتنظراني
وما أنا بالمغلب في القوافي
ولكن الزمان له صروف
سحباً ليل الحوادث بعد طه
وحلت بالخلافة مرزئات
اهبن بها فما أجلين حتى
قواصم على ظهر الدين عنها

ضللت القول لا أجد الكلاما
ولا حصراً بها يشكو الفحاما
يعود المفلقون بها فداما
فعم الدين والدنيا ظلاما
طواحن تحتسي الناس الاتهاما
رأيت حبيكها سال انثماما
ولولا الله لا نقصم انقصاما

وصفه ليوم الدار

شهِيد الدار إذ ورد الحماما
سيوف المارقين دماً حراما
زعانف منهم تقفوا لئاما
ولم يخشوا لغيلته أثاما

أرى الإسلام يوم الدار يبكي
وكانت فتنة فيها استحلت
أحاطت بالمدينة يوم نحس
فلم يعرفوا لإمرته عهداً

الترحم على الخليفة الثالث

عليه الدمع منهلاً سداما
ولجوا في الظنون به اتهاما
بذي النورين سوءاً أو ظلاما
ومن زاد الردى عنه وحامى

مضى عثمان والإسلام يذرى
فزن أبا الحسين به فريقاً
وحاشى أن يريد أبو حسين
عليّ كان أول من وقاه

النكبة التي نشأت عن مقتل عثمان

نفوس المسلمين لها ضراما
ومكة والجزيرة والشاماً

فيا لك فتنةً ضرمت فكانت
رأيت شرارها ينتاب مصرا

اختلاف المسلمين في أمر الخلافة

وأمسى حبل وحدثهم راماً
ولولا الحق ما افترقوا مراماً

رمت بالمسلمين إلى شتاتٍ
طوائف فرقتهن المرامى

محايدون ومبايعون

وأخذ للسكينة فاستناما
فكانت بين إخوتها قواما
وترعى في خلافته الذماما

فمنهم من أقام بكسر بيتٍ
وطائفة على الحق استقرت
تبايع وهي راضيةً عليّاً

الراجعون للحق : أهل الجمل

ولما تستبين فيه إماماً
ونادت بالإمام لها إماماً

وطائفة نضت للحق سيفاً
فلما حصص انقلبت إليه

وقال الفيلقان لها سلاما
ولم تشدد على جمل قراما

وقرت في أكنتها المواضي
ولولا الحق لم تحلل عقالا

الفئة الغالية : أهل الشام

ولم تحذر عواقبه الوخامي
فقام السيف بالأمر احتكاما
على الآكام تحسبها النعاما
وقد غص الفضاء بها زحاما

وأخرى أوضعت في الخلف تغلو
رضوا بالسيف لما حكموه
وأقبلت الجياد الجرد تعدو
تزوف بها كتائب معلمات

موقعة صفين

فرادى في الأباطح أو تؤاما
تجن إلى مواردها هياما
وأرخصت النفوس سواما
ولخماً تستبيح بها جذاما
ترى في الحق مصرعها لزاما
فتحيا في منازعها كراما

زواحف ثم من شرق وغرب
إلى صفين تحشدها منايا
أقام الموت في صفين سوقا
ترى مضراً تبيع بها نزارا
ألا صلى الإله على نفوس
تموت على منازعها كراما

دهاء عمرو بن العاص

وولى الجمع واستبقوا الخياما
دهاء يأكل السيف الحساما
يهلل تحتها الجيش ارتساما
ليرتسموا بما حكم ارتساما
ولا أولى بحكمته انتماما
إذا شبهته قلباً ذماما
على الدنيا وأياماً وخاما

فلما كاد حكم السيف يمضي
أناب إلى الكتاب دهاء عمرو
وأقبلت المصاحف مشرعاتٍ
إلى حكم الكتاب دعوا أخاهم
وما هيم بالكتاب أبر منه
عباب البحر تنقص منه قدرا
ولكن حيلة جرت بلاء

وصف التحكيم

فليتهما على النهج استقاما
وما أدراك ما عمرو إذا ما

إذ الحكمان بالأمر استقلا
لقد قرنوا أبا موسى بعمرو

وكيف تقيس بالحل الحلاما
ولا فضًا لمشكلة ختامًا

أمير المؤمنين أرى زمانا
مضى الحكمان ما حسما خلافا

معاوية وبنو أمية

لحريك هز مخذمه وشامًا
يصافيه المودة والوئامًا
وإن هو في أرومته تسامى
إذا استبقوا المكارم لا يسامى
تناصبك العدا والانتقاما
لوى في الحق وانتهك الذماما
فكانوا بعد ما سلفوا قماما
رأيت الخلف والرأى الكهاما

أمير المؤمنين أرى زمانا
وأقبل بالوفاء على ابن حرب
ولم يك بالإمامة منك أولى
ولكن شيبة الحمد بن عمرو
فما نقت أمية منك حتى
بلى إن الزمان لفي ضلال
طوى السلف الكرام وجاء قومٌ
إذا أخذ الإمام بأمر حزم

أهل الدنيا

مع الشيطان بالدنيا غراما
إذا كانت له الدنيا سقاما
وهم أولى بما زعموا اتصاما
ولا نكروا له رأياً عقاما
فيقتضب الأزمة والخزاما

زهام زخرف الدنيا فهموا
وليس لطالب الدنيا دواءً
رمى بالخرق أقواماً علياً
فما شهد الزمان له سفاهاً
ولكن القرين السوء يلوى

لجاج أهل العراق

أرث الحبل فانجذم انجذاما
كأن بها لما كسبت جحاما
إذا أمنوا واجراما جراما
نعام الدو يعتسف النعاما
طوى من تحته همماد ماما
وإن كانت مسددة لؤاما
إذا قاد الأسافل والطغاما
له نهج على الحق استقاما
وأيقظ حزمه وجثوا نياما

أبى أهل العراق سوى لجاج
ولؤوا عن أبي حسن رؤوساً
ترى بالكوفتين لهم عديدا
وإن حربوا أراك الروع منهم
قلوبٌ ما طوين سوى نفاق
يطيش أخو السداد بهم سهامًا
ولا يغني الأريب حجا ورأى
علمنا رأيه فلقا مبينا
رأى ورأوا فسد وما أصابوا

ولا سبؤوا لمقدمة فداما
وألقوا دون طاعته الكماما
عن الشورى وإن سفهت حراما
فسار بهم يؤد بهم على ما

فما فتحوا لمغلقةً وصيداً
فلما أمعنوا في الخلف عدواً
أصاخ إليهم ورأى خروجاً
كذلك كان أدبه أخوه

الشورى

تقم سناً له فقد النظاما
بها كتب السعادة والسلاما
وضل الناس منهجه القواما
حدود الله يحرص أن تقاما
لدفع الضيم عنها أن يضاما

هي الشورى نظام الملك إن لم
وكانت سنة الإسلام قدما
فلا تلم الإمام بها تحدى
فأكبر همه مذ كان طفلاً
يذل لعزها نفساً ويرضى

البيان الواضح والخطب الصافية

ضوافي تسمع الصم السلاما
سما ملك البيان به وسامى
وهز على منصتها الحساما
تلمست الضراغمة الأجاما
تولى الإفك وانحطم انحطاما
لحكمته صحاباً والتزاما

فليتهم وعوا خطباً أتتهم
سوابغ نسج أروع هاشمي
إذا ابتدر المقالة يوم خطب
أصاخ النجم أبرقت المواضي
إذا ما رن صوت الحق فيها
وليت القوم إذ مردوا أنابوا

نصرة أهل الشام لمعاوية

معاوية ولا نبذوا حجاما
كما تزجي الصبا سحباد ماما
وإن قال الذرى علوا النعاما
وإن سيموا الردى قالوا نعامى
بطاعته وما سخطوا قياما

كأهل الشام ما حجموا بخلف
تراهم تحت رايته خفافاً
إذا قال الثرى ملأوا الموامي
وإن سئلوا الكريهة أرثوها
رمى أهل العراق بهم فقاموا

الشاعر يلوم بني الشام

علام تنكب الحسنى علاما

بنى الشامات ويحكم أفيقوا

ركبتم في عداوته الثماما
كم اعتصما بحكمته اعتصاما
وكم سلكا به سبلاً قواما
عصا الإسلام فانقسم انقساما
به شدوا إلى الفتن الحزاما
على الإسلام داهيةً دهاما
سجا فدجا به الكون اقتاماما
ثياب الغدر واحتزموا احتزاما
على العدوان لا بلغت مراما
غراب البين والفال اللجاما
يعاني من وساوسه حماما
تعاوره ملاحنها التقاما
غلت في حماة الشر اعتقاما

ظلمتم سيد الأبرار لما
سلوا الصديق والفاروق عنه
وكم وردا له رأياً نجيحاً
بنى الشامات ويحكم شققتم
مددتم للخوارج حبل خلف
فيا قتل الخوارج يوم جروا
أثاروا في العراق لها قتاما
ثلاثة أكلب لبسوا بليل
لقد مردت بفاجرها مراداً
جرى طير ابن ملجمها علينا
كأنى بالخبيث حمار سوء
عشية بات يعسل في دروب
تزين له الخنى نفس عقام

تبت يد الغادر

تمد إلى أبي حسن حساما
أراد لمات في الغمد انشياما
لعرد عنه وانثلم انثلاما
مضى في قلب ملعون اليتامى
له انحلت عرى الصبر انقصاما

ألا تبت يدُ بالغدر ثارت
لو أن السيف يعلم أي نفسٍ
لو أن السيف كان له خيارٌ
لو أن السيف كان له خيارٌ
ولكن القضاء جرى برزءٍ

فبعداً لابن ملجم

يجر بردغة الخبل اللجاما
وزلزل بطن مكة المقاما
لهيبته ولا نظراً أساما

فبعداً لابن ملجم يوم يأتي
به فجع المدينة والمصلى
ولولا الغدر لم يرفع جبيناً

نعي الإمام علي رضي الله عنه

رواسي الأرض تنذك انهجاما
بواكي الدين تلتدم التداما
أبا الإسلام والشيخ الحماما

نعي الناعي أبا حسن فمالت
نعي الناعي أبا حسن فراحت
لقد سلب الحمام بني لؤي

بروحي غرةٌ يجري عليها
جبينٌ زاده بالموت نوراً
بروحي إذ يجود بخير نفسٍ
بني العدل إن شئتكم قصاماً
كتاب الله لا تغلو فإنني
مضى زين الصحابة في سبيل
إلى دار السلام مضى علي

دم أزكى من المسك اشتماماً
لقاء الله فائتلق ابتساماً
تخاف على الحنيفة أن تضاماً
كفى بكتاب ربكم إماماً
أخاف عليكم ألا يقاماً
إلى ملاٍ بجيرته استهاماً
وجاور في منازلها السلاماً

قصيدته في الاحتفال بأمير الشعراء

في هذه القصيدة التي تحمل «تحية شوقي» يبدأ الشاعر محمد عبد المطلب بالحديث عن الخيال الذي سيطر عليه في ليله ونومه، وهو يجيد وصف نومه القلق وصحوه المتدبر، وحالته النفسية المصاحبة للحالين، مقدماً وصفاً نفسياً دقيقاً يعبر به عن مشاعر عميقة يصعب على من لم يمر بها أن يتصورها ، وهو يعبر بهذا كله عن الاستهلال الذي لا بد منه لوصف هذا الشاعر العظيم أحمد شوقي الذي مرّ بمثل هذه الأحوال النفسية الدقيقة لكنه استطاع أن يُجيد التعبير عنها والامتنان لها لا بوصفها فحسب، ولكن بما أنجزه من أعمال شعرية بفضلها، أو هكذا يوحي هذا الشاعر العظيم بعد أن اعتمد هذا الأسلوب المعجز في بناء قصيدته الرائعة واختاره للتعبير عن الإعجاب العميق بالشاعر الكبير .

تأوَّبني والليلُ بالصباح مزعجُ
يكلِّفُ جفنيَّ الغرارَ لعلَّه
ويعدِّلني في السَّهدِ ياطيفُ رحمةً
وهل نام قبلي في دجى الليل ذو جوى
طلِّحُ أسى لو أن بالليل همَّه
إذا ما بكى أبكى الحمامَ على الرُّبا
لقد سلبتُ جفني يدُ النجمِ غمُضَه
وأرَّقني من جانب الروض نفحةً
وما شغلت عيني عن النوم صَبوَه
ولم يُنسني حظي من الجلم والنَّهى

خيال له في جنِّس الهِمِّ منهجُ
إلى النفس في طيِّ الكرى يتدرِّجُ
فإنني إلى زورِ الكرى منك أحوجُ
تبيت به أحشاؤه تتوهَّجُ؟
يضيق له صدر الظلام ويخرجُ
ألم ترها في لحنها تتهدِّجُ؟
ألسنت تراه حائرًا يتخلِّجُ؟
بأنفاسها ريح الصَّبَا تتأرجُ
بها شاقني طرف من العَيْن أبْرَجُ
جبينٌ يروع الشمس بالحسن أبلجُ

ولا بات يغريني بمعسولة اللمي
ولا ذرفت عيني لركب يَشُوقُنِي
لويتُ زمامَ النفس عن سنن الهوى
ورحنتُ إلى ما يبتني المجدَ للفتى
وما المجد إلا حيث حلت رباغنا
إذا أجدبت أحسابُ قوم سما بنا
لنا الباذخات الشمُّ تعلقو قلالها
سلوا الدهر عنا في القديم فإنما
إذا ابتسمت، ذاك الجُمان المفلج
غداة النوى، فيه خِباء وهودج
وخلّيت أتراب الهوى حيث عرّجوا
وأدلجتُ في ركب الغلا يوم أدلجوا
له في نواحيها ظلال وسجّسج
على الناس جيّاش الغوارب مُرّج
على كل ما شاد الأنام وبرّجوا
بأسلافنا يذكو قديمًا ويأرج

وصفه لإجماع الشرق على تكريم شوقي

ويبدأ الشاعر محمد عبد المطلب في مدح أمير شعراء الشرق بعد أن ألقى (على الدهر) بالمسئولية عن وصف العشيرة التي ينتميان إليها ، وهو يلخص وصف عبقریات شعوب الشرق في البيت الذي يقول فيه:

ففي مصرَ خُنْدِيدٌ وفي الشامَ مُفْلِقٌ وفي نجدَ فحلُّ والعراقيين مُفْلِج

ثم يصف الشاعر محمد عبد المطلب اجتماع هذه الشعوب (وغيرها بالطبع) لتكريم شوقي بأنه شبيه باجتماع الأوس والخزرج وانتلافهم في طاعة الله، وهو تشبيه جميل في مغزاه، حتى وإن لم يكن من الممكن أن يصل حب شوقي إلى مستواه:

هو الشرق مجلى النيرات ولم يزل
ومبعثُ رسل الله للناس رحمةً
ومهبط أملاك السماء، عليهم
وما زال منا كلُّ أروع سابق
ففي مصرَ خُنْدِيدٌ وفي الشامَ مُفْلِقٌ
شعوب لتكريم البيان تألفت
أهاب بهم إخوان شوقي فأقبلوا
يحيون مصرًا في تحية «أحمد»
ضياءً على الدنيا من الشرق يئلج
تسُنُّ الهدى للمهتدين وتنهج
تنزل بالذكر الحكيم وتعرج
بسيرته الأيام تشدو وتلهج
وفي نجدَ فحلُّ والعراقيين مُفْلِج
كما ائتلفت في الله أوسٌ وخزرج
وفودًا بهم تُحْدَى الرّكاب وتُحْدَج
وأُمَّ اللَّغَى فيما أجادوا ودبّجوا

يخاطب شوقي بأنه "شاعر النيل"

ثم هو يخاطب شوقي بأنه "شاعر النيل" وكأنه يوحد بينه وبين حافظ إبراهيم الذي اشتهر بهذا اللقب، وكأنه لا يجد فرقاً بينهما، وإنما يراهما شيئاً واحداً، وكأنه يرى اللقب صالحاً أيضاً لأحمد شوقي، وهو يقول: فقف يا شاعر النيل لتستمع نشيد المعاني في مدحك وهو يهدج.

ولا ينسى الشاعر محمد عبد المطلب ، في الوقت ذاته ، أن يحدد موقعه الواضح في الاعتزاز بنهجه الشعري السلفي الذي يعاديه بعض الناس (من باب السفاهة على حد تعبيره الصريح) وهو يقول هذا بعد أن يشير إلى أنه يمدح الشاعر شوقي بهذا النهج القديم:

فقف ساعة يا شاعر النيل تستمع
يرجع بالإحسان بين يديك ما
رأوك بديعاً في الجديد فأبدعوا
وفي الناس من عادى القديم سفاهةً
أبى الله إلا أن يكون بمجده
نشيد المعاني في مديحك يُهزج
سننت له والحسن للحسن يُنتج
وعُجبت على حسن القديم فعوجوا
وأغلق عينيه الجديد المبهزج
قديمًا وراح الملحدون فلجلجوا

يحيي شوقي باسم دار العلوم

ثم إن الشاعر محمد عبد المطلب يخاطب شوقي في الأبيات الثلاثة الأخيرة خطاباً مباشراً يبدأه بأن يسمي شوقي أخاه ، و ينسب تحيته له إلى دار العلوم مدرسته العليا التي تحب أن تحيي شوقي، و التي ندبته لهذا الشرف ، واصفاً مدحه لأمير الشعراء بالبهجة التي لا تقل عن بهجة الروض، وهو يقول إن عواطف الدراعمة صيغت في نسيج من الوفاء :

أخي والسُّلاف البابلِيُّ بيانه
إليك نسجنا في القريض عواطفًا
تُقيّمها «دارُ العلوم» تحيةً
يُعلُّ به السحرُ الحلالُ ويمزج
تحاك على صدق الوفاء وتُنسج
لشوقي كَنُورِ الروض أو هي أبهج

من قصيدته في رثاء الزعيم محمد فريد : موقف التوديع

في القصيدة الوجدانية التي نظمها الشاعر محمد عبد المطلب في رثاء الزعيم محمد فريد نراه يعبر عن موقف نفسي دقيق فيجيد التعبير، وذلك على الرغم مما يمكن أن يقال على سلفية أدواته واستعاراته وبعض ألفاظه:

سلوا جَفْنَ عيني ما له بات ينزف
ويا ربِّ هَمِّ يملك النفس بالأسى
وما أنا! ما دمعي! وفي مصرَ أَنَّة
بَكَيْنَ غريبًا طَرَّحَ البين داره
وما أنكرت مصرُ ابنها فَنَبَّتْ به
تَوَى غربةً، بعد المعاد قرارها
وكنا حَسِبْنَا شُقَّةَ البين تنطوي
وأطمعنا في الملتقى لمع بارق
فلم نر سلمًا ينتهي النَّأْيُ عندها
ويا موقفَ التوديع هل تُسعد المنى
أخاف المنايا أن يكنَّ رِواصِدًا
تحدثني طيرٌ جرَّينَ بوارحًا
ويحزنني وزدُ المنايا ولم تزل
حرام علينا أرضها وسماؤها
ويا فلكُ باسم الله مجراك أقلعي
فما كان إلا أن طوى البحر والثرى
فدون تلاقينا ليالٍ وأشهر
هنالك ألقى في بني الغرب رَحْلُهُ
بعيد المرامي لا تهدُّ صفاته
تقدِّفه في زاخر البأس همّة
وهيئات أن يخشى أخو الحق قوةً
قضى الله أن يُسقى «فريد» بأرضنا
يعزُّ على «برلين» أن يغلب الردى
أطبَّاءه لو يستطيع فداءه
قليل عليه لو يفدييه قومه

وعهدي به إن سُمِّته الدمع يأنف
ويعدو على العين الجمود فتذرف
بها الطير نَوْحٌ والغمامُ وُكَّف
فلا العود مأمولٌ ولا الدار تُعْرَف
ولكنه دهر على الحُرِّ يُجْنِف
فيا طول ما يستشرف المتشوف
فيأوي إلى مِرْبَاعه المتصَيِّف
من السلم في ليل الحوادث يَخْطِف
بِنَاءٍ ولا حَتَمَ الردى يتخلف
فيجمعنا يومٌ بمصرَ وموقف؟
وما لي من أسبابها أتخوف؟
بأن المطايا بي إلى الموت تزحف
بلادِي تحبو في الإسار وتزسِف
أليَّة من لا يمتري حين يحلف
فإما الردى أو ينصف النيل منصف
وحجبه سترٌ من الغيب مُسْجَف
وبين ديارينا جبال وصَفْصَف
على همّة من همَّها الدهر يكُف
عوادٍ إذا صُبَّتْ على «الإلب» تحرف
جديرٌ بها الليث الهصور المقدَّف
سوى الحق أو يعنو لبأس فيضعف
كؤوسًا بالاستسقاء للنفس تخطف
عليك بنيتها، والردى ليس يُصرف
بنو مصرَ غألوا في الفداء وأسرفوا
بما جمعوا من تالِدٍ أو تطرفوا

فليت الليالي سالمته فيه أمةً
عرفنا له بزّ الوفيّ بعهدهما
أفاض عليها نفسه بعد ماله
ولولا رجال مؤمنون نجوا بها
براهما الأسى من بعده والتلّهُف
إذا خان قومٌ عهد مصر فلم يفوا
ومال بهم عنها متاع وزُخرف
لراحت بها ريحٌ من الغدر زُفّزف

ديوانه المطبوع

صدر ديوان عبد المطلب بشرح وتصحيح إبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي،
عن مطبعة الاعتماد، وقد أشرف على طبعه رفيقه وصديقه الشاعر محمد الهراوي
١٨٨٥-١٩٣٩.

مخطوطاته في الأدب

- قصة بعنوان «امرؤ القيس» ضمنها بعض شعره
- تاريخ أدب اللغة العربية - في ثلاثة أجزاء
- الجولتين في آداب الدولتين
- إعجاز القرآن.

وفاته

توفي الشاعر محمد عبد المطلب في ١٩٣١

حفل تأبينه

أقيم للشاعر محمد عبد المطلب حفل تأبين برعاية وزير المعارف العمومية محمد
حلمي عيسى باشا في ١٠ من ديسمبر من عام وفاته ١٩٣١ وحفل آخر في دار
جمعية الهداية الإسلامية في الخميس التالي للحفل الأول، وجمع ما قيل في هذين
الحفلين في عدد خاص أصدرته مجلة الهداية الإسلامية عنه.

الفصل الرابع : عبد الحليم المصري

شاعر الإلياذة البكرية رضي الله عن صاحبها و أرضاه

مكانته في تاريخ أمته

يمكننا القول بأن الشاعر عبد الحليم المصري ١٨٨٧-١٩٢٢ شاعر عربي مبرز ومجيد و قصير العمر ، إذ عاش خمسة و ثلاثين عاما فقط ، ورغم قصر عمره فإنه عاش عملاقا في عصر العمالقة ، وقد كان حاله كما وصفته عبارة علي الغلاف الأخير لديوانه في طبعته الأخيرة : "انطلق كالسهم وغاب كالشهاب"

موت مبكر لم يمنع العمر الطويل

لم يكن الموت المبكر من الأمور النادرة في ذلك العصر الذي لم يكن قد عرف كثيرا من العلاجات الجديدة ، ولا التجلد على مصاعب الدنيا ، ونحن نذكر انه في العام الذي سبق وفاة عبد الحليم المصري كانت مصر قد فجعت بوفاة محمد تيمور ١٨٩٢-١٩٢١ الذي هو أبرز أديب من الأدباء العرب المحدثين الذين رحلوا في سن الشباب وتركوا أثرا كبيرا يفوق سنوات عمرهم كثيرا، فقد توفي محمد تيمور وهو في التاسعة والعشرين من عمره بعد ما حفر لاسمه مكانا بارزا كرائد لكثير من التوجهات والتقنيات معا، وفي العام التالي لوفاة الشاعر عبد الحليم المصري توفي الفنان سيد درويش عبقرى الموسيقى العربية ١٨٩٢-١٩٢٣ ، وهو في الحادية والثلاثين من عمره .

وفيما بعد فقد رصد التاريخ الوفاة المبكرة لأدباء العرب في القرن العشرين في حالات أخرى : هاشم الرفاعي الذي عاش أربعة وعشرين عاما فقط ١٩٣٥-

١٩٥٩ و أبو القاسم الشابي الذي عاش خمسة وعشرين عاما فقط ١٩٠٩-١٩٣٤ ،
ومحمد عبد المعطي الهمشري الذي عاش ثلاثين عاما فقط ١٩٠٨-١٩٣٨ ، ومع
هؤلاء القاص اليمني محمد عبد الولي الذي عاش ثلاثة وثلاثين عاما فقط ١٩٤٠-
١٩٧٣ .

صاحب واحدة من القصائد الثلاث

لعل أروع وأفضل ما يعرف به الشاعر عبد الحليم المصري أن يقال إنه واحد
من ثلاثة شعراء متعاصرين نظموا ثلاثة ملاحم عظيمة في ثلاثة من الخلفاء
الراشدين.

بيد أن اضطراب الوعي العربي بقيمة الفن والشعر ترك ستائر النسيان والتجاهل
تسدل مؤقتا على هذه الملاحم الثلاث ، وهي الملحمة العمرية التي نظمها الشاعر
حافظ إبراهيم ، والملحمة العلوية التي نظمها الشاعر محمد عبد المطلب ، و الملحمة
البكرية التي نظمها الشاعر عبد الحليم المصري ، وبالإضافة الى هذه الملاحم الثلاث
نظم أحمد محرم الإلياذة الإسلامية فأعجب أمير الشعراء احمد شوقي بالفكرة التي
كان مترددا فيها ونظم إلياذة أخرى سماها ديوان دول العرب ، ومن مجموع هذه
الأعمال تتكون إلياذة كبرى يشترك فيها شعراء العرب على نحو ما اشترك أسلافهم
في الحضارات السالفة في صياغة أعمال ملحمية كبيرة وخالدة .

ظل يحمل لقب شاعر الملك

نال الشاعر عبد الحليم المصري لقب شاعر الملك (فؤاد الأول) وظل متمتعا به
من قبل أن يخلفه في هذا اللقب (بعد وفاته) الأستاذ العظيم مصطفى صادق الرافعي
١٨٨٠-١٩٣٧ ، ولعل في قبول الرافعي لهذه الخلافة بينما عبد الحليم المصري
تأل له في المولد ما يعبر عن اعتراف الرافعي (وهو من هو مجدا وقوة واعتزازا
وأنفة) بقيمة الشاعر عبد الحليم المصري.

هل يمكن مقارنته بالرفاعي و الشابي ؟

من الطريف أننا نستطيع أن نسارع بلا جهد جهيد أن نقفز فنقارن عبد الحلیم المصري شاعر الملك بأبو القاسم الشابي شاعر الثورة والحرية وصاحب البيت المشهور الذي لا يزال يتردد: إذا الشعب يوما أراد الحياة ، أو بهاشم الرفاعي الذي لم يجد حرجا في أن ينتقد الرئيس عبد الناصر في اوج قوته ومجده ، وهكذا يجمع الموت المبكر بين الثوار والملكيين ! لكن مثل هذا الحكم ليس صائبا تماما.

لقب بشاعر الوطنية والشباب قبل أن يصبح شاعر الملك

لا نستطيع حصر مجد الشاعر عبد الحلیم المصري في أنه كان رجلا من رجال السلطة بل إن من الواجب أن نبدأ بالقول بأن الشاعر عبد الحلیم المصري لم يكن ملكيا طوال الوقت بل يكفيه انه ، كما ذكرنا في مستهل الحديث، هو الذي صور حياة الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه في ملحمة ، كما أنه كان من أوائل من طالبوا بالحرية بمعناها السياسي و بالدستور، و كتب قصيدة عن قناة السويس، وعن المساجين!! لهذا كله فإننا لا نعجب من أنه قد لُقّب بشاعر الوطنية والشباب ، من قبل ان يستحوذ بصفة رسمية على لقب شاعر الملك .

نشأته و دراسته للحربية وظهور موهبته مبكرا

اسمه بالكامل عبد الحلیم حلمي بن إسماعيل حسني ولد في قرية فيشا في مديرية (محافظة) البحيرة ، وتلقى بدايات التعليم المدني، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية التحق بالمدرسة الحربية عام ١٩٠٣ ، ولم يكن الالتحاق بالمدرسة الحربية يتطلب أكثر من الحصول على الابتدائية، وتخرج فيها عام ١٩٠٦ ، ويروى إن الشاعر عبد الحلیم المصري بدأ ينظم الشعر، وهو في سن الثالثة عشرة. وأن نجمه لمع في الشعر وهو في سن السابعة عشرة.

وظائفه في العسكرية ثم في الديوان الملكي

عمل الشاعر عبد الحليم المصري ضابطاً بالكتيبة السادسة عشرة في كسلا بالسودان، ثم قدم استقالته من الخدمة العسكرية وعاد إلى القاهرة، وتوظف بوزارة الأوقاف، ثم عينه الملك فؤاد أميناً للمكتبة الملكية.

إعجاب الشيخ الصواحي به

روى الدكتور مصطفى الرفاعي أن العلامة الشيخ عطية الصواحي (حين كان أستاذاً في التعليم الثانوي) كان معجباً بالشاعر عبد الحليم المصري : " فقد كان ضابطاً بالجيش، وكان وطنياً، وكان شجاعاً، ولم يكن له حظ كبير من الشهرة، وتوفى في ريعان شبابه" ، وكان الشيخ الصواحي معجباً بأبيات عبد الحليم المصري التي يطالب فيها الخديو عباس حلمي الثاني بالدستور بكل شجاعة، ولم تمنعه صفته كضابط أن ينتقد الخديو:

رد الوديعة لا مالا ولا شانانا لم نرج في جانب الدستور إحسانا
لولا ولاؤك لم نبسط إليك يدا من الرجاء ولم نسألك غفرانا

القصيدة البكرية

تتجلى في هذه القصيدة قدرات فكرية فائقة لهذا الشاعر الموهوب قصير العمر حيث نراه قادراً على حسم كل القضايا المرتبطة بإشكاليات الولاء والانتماء والوفاء بدقة ويسر ، كما نراه قادراً على تقديم انطباعاته عن علاقات التسبب والتسويغ والاستنتاج في أبهى صورها مع أن شعر المديح لا يتطلب في العادة كل هذا المنحى العقلي ، لكن إيمان الشاعر ، و حبه لدينه وأعلام هذا الدين ، كل أولئك دفع الشاعر الى تقديم عمل لا يمكن وصفه بأنه عمل فني فحسب ولكنه عمل فكري أيضاً .

الاحتفال بقصيدته

ألقى الشاعر عبد الحليم المصري هذه القصيدة البكرية في حفل أقيم في دار الجامعة المصرية في ٢٣ مايو ١٩١٨ وقد جمعناها من أكثر من مصدر إذ أثرت هذه المصادر أو اضطرت بسبب الطباعة أو المساحة ألا تنشرها كاملة:

أول صديق وأول مؤمن

وأمطر لساني حكمة ومعانينا
وإن لم أكن فيه بشعري باديها
وهل شرر النبراس يجدي الدراري
فمدحك كئى عنه دون بيانها
فأوقر لي الصديق منه ركابها
تعهدني وحيّ فلسنت مغاليا
وأول شورى أشد رجائيا
بصورة شيخ المسلمين كما هيا
وان يتلافوا منه ما كان باقيا
مظاهر في ابانها ومرائيا
ولا السن لكن بالنهاى كنت راقيا

أفضني أبا بكر عليهم قوافيا
وقل لرسول الله لم أعد مدحه
مقام رسول الله فوق قصائدي
وإنك في الإسلام من حسناته
وقفت بباب الله والقول نافر
فأمنت بالإلهام فيك وإن أقل
بأول صديق وأول مؤمن
واضرب أمثالا لقومي تجيئهم
عسى أن يعيدوا ما أضاعوا من الهدى
وحتى يروا أن الخلافة لم تكن
وأنك لم ترق الخلافة بالغنى

الإسراء والمعراج

وقال ألم تنظر نبيك ساريا؟
...إلى الطبقات السبع لم يخش عاديا
وأصبح في بطحاء مكة داعيا
ونطوي إليه أشهراً ولياليا
. لنجهل قيد الشعر ما كان خافيا
ومن قالها حاشاه ظنّ مداجيا

أهاب رجالات به يوم نبئوا
أتى المسجد الأقصى ورد براقه.
فصلى بمن فيا وكلم ربه
أيطوى إلى الأقصى العتيقين ليلة
ويأتي بأخبار السماء، وإننا
فزكى أبو بكر وصدق قوله

فضله في حروب الردة

وعطل من جيد النبوة حاليا

ولولاه لارتد الفريق الذي اهتدى

وأصبح صوت الحق في الأرض خافتا
فسائل به الآيات كم حفظت له
يطل أبو بكر بكل صحيفة

قصة سيدنا بلال

أريت بلالا والسياط كأنها
إذا حميت أذناها ما تلمست
تسيل دما حتى كأن بجلدها
وروح بلال قاب قوسين من نوى
يقربه من رحمة الله حينها
وإيمانه تحت المنية راسخ
فلما أفاض النفس إلا صبابة
أطلت عليه رحمة الله من يد
رأى نور عيش في ظلام منية
تعرض ما بين الحمام وبينه
كريم يرى ما في يد الناس فانيا

صحبه للنبي في الهجرة

وهاجر فاستندى المحبة صاحبا
تقدمه في الغار يستقبل الأذى
فنام ووعد الله يؤنس قلبه
إذا لدغتك الجن ألفتك صابرا
ولم يبق منك الوهن إلا أصابعا
وما انتبهت عيناه لولا تساقطت

معركة بدر

ولما أراد الله نصرة دينه
وقفت على باب العريش وطيه
إذا ما اشترأبت هامة من مفاضة
وطاروا بأسباب القتال كأنهم

وأصبح وجه الحق في الأرض كابيا
على الدين من بعد النبي أياديا
عليك من القرآن إن كنت تاليا

مدالع نار تترك الماء ذاكيا
مقابضها دون الفرار أمانيا
جروحا متى أنكئن سلن دواميا
تودع من أطلال جسم بواليا
ويزداد بالإقصاء منه تدانيا
إذا زحمته لم تتل منه راسيا
إذا ما رآها الموت لم يدر ما هيا
ترى البرق في ديباجة الغيث دانيا
يلوح أبو بكر به متهاديا
وكان له في الله بالمال فاديا
وليس يرى ما في يد الله فانيا

مع الخطب طلاعا على العهد وافيا
كذلك صدر الرمح يلقي العواديا
وخلف يقظانا من الحزن باكيا
على السم تخشى أن تروه غافيا
فألقيتها دون النبي الأفاعيا
دموع أبي بكر عليه هواميا

ببدر رأى الصديق للدين واليا
سنا لم يزل في موطن السر فاشيا
رأتك عليها بالمنية هاويا
فراخ حمام صادفت منك بازيا

ترد عيون الساهمين حسيرة وتدفع من نقع المنية هابيا

استخلافه لعمر بن الخطاب

رجوت أبا حفص وأثرته بها أولئك قوم لا يحابون سيذا
قضوا لك بالحسنى ولو لم تكن بها فصادفت منه مؤثرا لك راجيا
ولا عرفوا في جانب الحق عاليا
أحق لقام السيف بالحق قاضيا

بذله كل ماله في معركة تبوك

ويوم تبوك لم تذر لمعرس تدفقت لم تترك لبعضك قطرة
وقال رسول الله أهلك فاكفهم من الزاد ما يكفيه إذ سرت غازيا
فبعضك أمسى منك حران صاديا
فقلت : أليس الله دوني كافيا

موقفه يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

وريع أبو حفص بموت محمد وقال ورب البيت لست بمدثن
وأنساه هول الخطب آية ربه نهى لم يزد لها الهول إلا حصافة....
فلما استبان الموت حيا بأبلج أهاب بهم يا قوم مات محمد
فمن ظنه ربا فقد مات ربه وعاد وجرح الجاهلية سائل

توليئه الخلافة

نهضت بأمر الناس والدين لم يزل ولولاك علت الأمر بعد محمد
وأوشك جيش الشام يطوى لواءه رضيعا بأطراف الجزيرة حاليا
لهدوا من الإسلام ما كان بانيا
ويصدق عما كان لله ناويا

علم جنوده أخلاق الحروب

وتضرم من تلك العواطف خابيا
ولا تفسدوا عذبا من الماء جاريا
ولا تستبيحوا نسوة أو ذاريا
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
إلى الحرب يسعى مكرها لا معاديا
من الشام نهرا خيلهم سال داميا
مقالك فاستحيوا ومالوا تغاضيا
كصوت أبي بكر فهاجوا العواليا

وقفت أمام الجيش ترفد أسسه
تقول لهم لا تحملوا غير زادكم
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا
ولا ترهقوا الأسرى فرب محارب
فساروا كذات الرعد ان طفرت بهم
إذا ما السبايا استدرجتهم تذكروا
وإن خمدوا تحت العجاج تسمعوا

موقفه من المواجهة الحربية

رأى وحده الصديق فيها تداويا
بمن ظل في جوف المدينة ثاويا
ولا كنت بالأخطار فيه مباليا
سيوفا على جذبيه رُدت نوابيا
أضاءت له ما كان في الغيب داجيا

رأى جمعهم في الحرب داء وإنما
وقالوا نرى الأخطار تحدق بعدنا
فما كنت في رأي النبي معارضا
ثبات إذا ما الحادثات تجردت
ورأى إذا لاحت ثوابت شهبه

حروب الزكاة

فلم يرفدوا في طاعة الله جابيا
وأنذرهم أخرى فزادوا تماديا
وما أروع الإسلام فيه مجاليا
ولا يتقي المولى على الحق واليا
قيادهم لو كنت في الأمر جافيا
رأوه على حرية النفس قاضيا
فإنك مستعد عليك الضواريا

وظنوا زكاة المال صارت إتاوة
أحال أبو بكر على الصير مرة
فأوسع للشورى صدور رجاله
سواسية لا يعرفون خليفة
ترى عربا بالرمل ما أنت مسلس
إذا استشعروا بالحكم وهو مذلة
وإن قلبوا ظهر المحن ابوة

فتوحات المسلمين في عهده

بهم أمما درت فروت ظواميا
وكسرى فهل أخضلن بالرمل واديا

شغلتهمو بالحرب فاستحلب الوغى
وقلت لهم هذى مناهل قيصر

إذا افتقرت في الأرض عادت كما هيا
عليكم إلى يوم الحساب نواتيا
أسلت عليهم بالجنود الرواميا
وطيرت للعرشين في الشرق ناعيا
ولا نظرت منك المرابز غازيا
لغيرك الا أن يرى لك تاليا

لأنتم هداة الناس والأمة التي
فيا عرب اشتدوا فإني لرافع
فبيننا يقول الفرس والروم عاجز
وفاجأت بالجيشين كسرى وقيصرا
وما سمعت عنك العياهل فاتحا
سبقت بأساس الفتوح ولم تذر

حكيمته في سياسة الأمور

ولا كنت يوما بالخلافة زاهيا
وذكرك في الأموات حال مرائيا
وما سوف يغدو للأجنة جاريا
ونرخص من تلك الدموع غواليا
تضوع عن عطر الخلافة ذاكيا
وما هو إلا مال من جاء عافيا
وما ذنب مولود من المال خاليا
إذا جاءهم عبد لمولاه شاكيا
وضعف وليس العدل إلا تقاضيا
فيدرك من بنيانه متراميا؟؟
توارت عن الأبصار إلا بواقيا
بلغت به في القول ما كنت راجيا
فإني أرى الاصبح تتلو الدياجيا.

ولا كنت يوما في الحكومة جافيا
فذكرك في الأحياء سال مدائحا
فمن لي بدمع المسلمين الذي جرى
سنبذل من تلك العيون كرائما
وفاءً وتحنانا إلى الزمن الذي
ليالي كان الناس لا المال ذخرم
وما فضل مولود على مال والد
ولا فرق فيهم بين مولى وعبده
وما الحق إلا حائط بين قوة
أرب أبي بكر سيخلق مثله
بقية إيمان وأثار أمة
ذكرت أبا بكر لقومي وليتني
لعل سرة الدهر تدرك فجره

قصيدة الإسلام

في هذه القصيدة الباكية المتاملة المستنهضة للهمم بيدي الشاعر عبد الحليم
المصري جزءه من حاضر الإسلام فيذكر أن الدمع جرى حزينا عليه وأن الطير أنّ
عليه، وهو يخاطب الحمامة بلقبها "بنت الهزار" سائلاً إياها أن تبكي لما أصاب
الإسلام، ويفيض في هذا المعنى على نحو ما يراه القارئ منفعلًا باكياً متهدجاً أسياً
على ما مضى مما فرط فيه المسلمون وهو كثير:

عليّ جرى دمًا دمعي حزينا
 فيا بنت الهزار ابكي وأبكي
 بكيته وما عسى تبكين إلا
 أعينيني، فخطبك دون خطبي
 سألت علام تستبكي السواري
 تبيت مقلباً يمني بيسرى
 وتغتاب الفراش وأنت فيه
 كأنك سُمت مدرجة الأفاعي
 إن خدعت مناك حجاك همت
 فيغريك الذي ينهاك حيناً
 وتضحك في بطائك لست تدري
 وما هذي بحال فتى حزين
 فيا بنت الهزار سُقيت مما
 ولا برحت سحائب مرضعات
 ولا دهمت في عش عقاب
 ولا زالت بك الجنات خضراً
 عدلت ولو علمت علام أبكي
 بكيته قواعد الإسلام لما
 قد انفرطت عقودهم بأرض
 فذاك جرى مع اللاهين شوطاً
 فما بلغوا بذاك اللهو دنيا
 وشئتوا في البلاد فكل أرض
 نموت بها ونحيا كل يوم

وفيّ تعلّم الطيزُ الأنينا
 لننظر أيننا أوفى شؤوننا
 بذورًا أو وكورًا أو غصونا
 وكان الحرّ في الدنيا معينا
 ولم تُطلع على سرّ خدينا
 لقد أتعبت باليسرى اليميننا
 إلى السهد الذي خدع العيوننا
 فما نلت الحياة ولا المنونا
 قواك لتركب الأمل الحرونا
 وينهاك الذي يغريك حيننا
 كأنك قد ترقّيت الجنونا
 أجدًا كان صنعك أم مجونا
 أتاح الله منهمرا هتوننا
 بناتك في المسارح والبنينا
 ولا بلغتك أيدي الصائدينا
 ينجي الورد فيها الياسميننا
 لما جاريت في العاذليننا
 تزعزع ثبثها - والمسلمينا
 حمت عقبانها المستجمعينا
 وذاك سها مع المتزهدينا
 ولا بلغوا بذاك السهو ديننا
 حوت منهم غريبًا مستكيننا
 فلا متنا الزمان ولا حيننا

انتقادنا مبالغاته في قصيدته في محمد علي باشا

يبدأ الشاعر عبد الحلیم المصري قصيدته في مدح محمد علي باشا بالإشارة الواضحة الصريحة والذكية إلى أن نفس محمد علي كانت هي أباه وأمه، فقد كان مفطوراً على الملك رغم أنه لم يرث الجاه والحسب، بينما هو في المقابل قد أورثهما لذريته، ويعدد الشاعر عبد الحلیم المصري من صفات العظمة في شخصية محمد

علي باشا الكبير ما تحفل به الأبيات في تتابع متصل من دون أي قطع ولا انقطاع، لكنه يدير هذه المعاني كلها حول فكرة جوهرية هي أن محمد علي باشا قد ولد ليكون ملكاً .

تشبعه بفكرة الملوكية المبكرة في شخصية محمد علي باشا

وهو يبدع كثيراً من الصور والتعبيرات للتدليل على هذا المنطق الذي يتشبث به في مدحه لممدوحه ، وعلى الرغم من المبالغات التي يلجأ إليها فإنها تبدو في الإطار المقبول إلا في بعض المواضع التي لم تكن ثقافته الدينية والفلسفية قادرة على إدراك الشطط فيها .

ويصل الشاعر عبد الحلیم المصري على سبيل المثال إلى القول بأن حبو محمد علي في طفولته بدا له وكأنه متصل بالعرش .

وهو يصف طفولة محمد علي في هذا الإطار المفارق لكل منطق، وكذلك يصف فتوته، كما يصف استعداد مصر لتتويجه ملكاً عليها من قبل أن يأتيها وهو يبالغ حتى يقول "ما القلب والسيف إلا الماء والذهب".

رَهْنَ الطفولةِ راجي الملكِ منتسبٌ
لَمَّا يَرثُ عن أبٍ جاهاً ولا حسباً
تحت الحنيئة من يسراه ملتهبٌ
في بُرده قدرٌ، في طيه خطرٌ،
وفي إرادته مُلكٌ يُحاوله
كأنما حبوه بالعرش متّصلٌ
ما بين أقرانه كادت همامته
عناصرُ الخمرِ لَمَّا امتازَ أشرفها
وما درتُ مصرٌ يوماً أن جارتها
ولا درتُ أمه أن الذي حضنتُ
ترجو له في صفوف الجندي مرتبةً
لو أنها علمت ما في سريرته

إلى العلاء نفسُه أمّ له وأبٌ
بل كان يُورث عنه الجاه والحسب
لو مسّه الماء في يميناه يلهب
آماله سفيرٌ، آراؤه عاب
لا رتبةً دونه تُغني ولا لقب
من مهده وإليه الخطو والسبب
إلى المضارع من آماله تثب
في معرض الكأس قرّث واعتلى الحب
تبني لها قولياً أمره عجب
له السريرُ بظهر الغيب يُرتقب
وفي رجاء ابنها ما دونه الرتب
لأيقنت أن ما يعتاده لعب

تلك الحصاة لغير الملك ما خُلفت
كان الصِّبا جنةً تُرعى مئامرها
يجري بها في رغيد العيش من خلعوا
فما رعى رعيهم يوماً ولا وجدت
يا حسن، يا خمز، هل أعيكما طلباً
عرضتما فثناه عنكما عظم
قضى على سيفه من قلبه معه
كم استرقَّ الهوى من ضيغٍ شرسٍ
وغادةٍ سلبتْ مُلْكا وكان له
كالدُّرِّ ليس لغير الحلي يُدْتخَب
في ظلِّها السُّمُحِيان الماء والعُشْب
ثوبَ الحياءِ ويُغضِي عنهم الأدب
باباً إلى نفسه اللدَّاتُ والطرب
هذا الأبيُّ وإنِّي منكما تَعِب؟
ما للثرى ويمينٍ كَفُّها ذهب
ما القلبُ والسيفُ إلا الماءُ والذهب
فأسلستُ في يديه للهوى قُضِب
لولا هواه ولولا لحظُّها السُّلب

تنبه لنظرية المؤامرة في قصيدته نحن والغرب

في هذه القصيدة التي عنوانها "نحن والغرب" يتبنى الشاعر عبد الحليم المصري في مرحلة مبكرة نظرية المؤامرة بصيغة أكثر مهارة من كل الصيغ التي تبناها بها بعد ذلك المعاصرون من السياسيين وأصحاب المذاهب والمبررين للفشل، وهو يصل في تبريره وإيمانه بهذه النظرية المريحة للأعصاب إلى أن يقول إن النوم فارق عيون الغرب حين رأى نور مملكة محمد علي في الشرق وقد قامت معتمدة على سواعد أصحاب الجلابيب الزرقاء الذين صالوا على الدنيا، بهذا اليتيم المعدم.

تجاوز خطوط المعقول في مديح البشر

ويتجاوز عبد الحليم المصري كل الخطوط الحمراء في مديح محمد علي باشا فيقول إنه جمع من صفات النبي صلى الله عليه وسلم أربع صفات هي اليتيم والامية والاسم والعمل بالتجارة، ولا نملك إلا أن نقول: نسأل الله العافية.

اعتقاده في نجاح محمد علي في حروبه

ثم هو يعدد فتوحات محمد علي باشا التي أتمها عبر قيادته للجيش المصري الذي فتح الشرق على حد تعبيره ، وهو يعدد أسماء خمسة أوطان فتحها هذا الجيش في بيت واحد من قصيدته : في كريت ونجد وحلب والاناضول والسودان. وينسى

الشاعر عبد الحلیم المصري أو يتناسى أو ربما أنه لم يكن يعرف الحقيقة وهي أن محمد علي فشل في تحقيق أحلامه في الأناضول ولم ينجح.

طار الكرى عن جفون الغرب إذ بدأت
وهاله أن شعباً من شعائره
وأن من ظفرت حتى الرعاة بهم
وأنهم بيتيم مُعدِم شرفوا
تشابهت أربع من معجزاتهما
فذاك للدين من آياته صُحُفٌ
فمن كريدٍ إلى نجدٍ إلى حلبٍ
بجيش مصرَ لفتح الشرق مستبقٌ

بالشرق مملكةً سمراءُ تزدهرُ
زرقُ الجلابيب في الأفاق ينتشر
صالوا وصاروا على الدنيا وهم خطر
وقبلهم بيتيم شُرِّفت مُضر
يُثمُّ وأمِّيَّةٌ واسمٌ ومُتَجَر
وذاك للملك من آياته السُرُر
إلى الأناضول فالسودان منتصر
وباسم مصرَ لفتح الغرب مبتكر

آثاره

- «ديوان المصري»: صدر في ثلاثة أجزاء وعلى ثلاث مراحل طبع الجزء الأول بمطبعة النظام والجزء الثاني بمطبعة التأليف ١٩١٠، والجزء الثالث طبع بمصر ١٩١٩ ، تضمن الجزء الأول قصائد الوصف والسياسة والاجتماع، وتضمن الجزء الثاني قصائد الأخلاق والاجتماعيات والمديح والمراثي بما فيها رثاء الدول والمراسلات والخواطر، وتضمن الجزء الثالث التاريخ والأدب والاجتماعيات. وفي ١٩٩٣ صدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة طبعة في مجلد واحد في باسم ديوان عبد الحلیم المصري» وشملت كل ما أنتج الشاعر ونشره في ديوانيه)،
- «محمد علي الكبير منشئ مصر الحديثة»: مطبعة مصر - القاهرة ١٩١٩

وفاته

توفي الشاعر عبد الحلیم المصري في اليوم الثاني من شهر يوليو سنة ١٩٢٢

رثاء الشاعر حافظ إبراهيم له

وقد رثاه شاعر النيل حافظ إبراهيم بقصيدة مؤثرة أشار فيها إلى أنه لن يثوى في حفرة ، ولكن في روضة من شعره ، وأنه سيسامر الخليفة أبا بكر الصديق الذي سيكون سعيدا بمسامراته :

لَكَ اللهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا فَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً
فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْيَلَى
وَيَا وَيْحَ لِلْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجْيِهَا
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ زِكْرًا مُخَلِّدًا
وَأُورِثْنَا حُزْنَآ عَلَىكَ وَحَسْرَةً
فَلَمْ تَثْوِ يَا عَبْدَ الْحَلِيمِ بِحُفْرَةٍ
فَدِيَوَانُكَ الرِّيَّانُ يُغْنِيكَ طَيْبُهُ
فَسَامِرَ أَبَا بَكْرٍ هُنَاكَ فَإِنَّهُ
هَذَا لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَلْتَهَا
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَرْتَمُّ مُنْشِدٌ

وَأَثَرْتُ يَا مِصْرِيَّ سُكْنَى الْمَقَابِرِ
تَفْتَحُ لِأَذْهَانِ قَبْلِ النَّوَاطِرِ
فَكَمْ نَسَجْتَ قَبْلَ الْيَلَى مِنْ مَفَاخِرِ
وَوَيْحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
وَذَاكَ لَعَمْرِي نِعَمَ زَادُ الْمُسَافِرِ
عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ كَرِيمِ الْمَحَاضِرِ
وَلَكِنْ بِرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ نَاضِرِ
عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجُودِ الْمَوَاطِرِ
سَيَظْفَرُ فِي عَدَنٍ بِخَيْرِ مُسَامِرِ
وَأَعْظَمَ بِمَنْ جَاوَرْتَهُ مِنْ مُجَاوِرِ
وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

الاحتفال بتكريم ذكراه في عهد تولى الهلالي باشا وزارة المعارف

تخليدا لذكرى الشاعر الكبير المرحوم الشاعر عبد الحلیم المصري أقامت وزارة المعارف في عهد الوزير أحمد نجيب الهلالي باشا وزير المعارف حفلا كبيرا في مسرح الأزيكية وكان الحفل برياسة الوزير. وأوفد الملك فؤاد أمين التشریفات محمود یونس بك لحضور هذا الاحتفال. وقد تعاقب الخطباء على منصة الخطابة فألقوا كلمات وقصائد عددوا فيها ما كان لهذا الشاعر من آثار على دولة الشعر والأدب في مصر. و اختتمت الحفلة بكلمة ألقاها اليوزباشي عصام حلمي المصري عن أسرة الفقيد شكر فيها للمحتفلين شعورهم.

المحتويات

٥	إهداء
٦	هذا الكتاب
١٠	الفصل الأول : الشاعر أحمد محرم
١٠	آخر شعراء الخلافة الإسلامية
١٠	مكانته في تاريخ الأدب وفي تاريخ أمته
١١	نشأته وثقافته
١١	تكوينه الفكري المتميز
١٢	الاعتراف المبكر بشاعريته أفنعه بالتفرغ للشعر
١٢	جهده في مجلة «الصدق» في دمنهور
١٣	قيّمته الفائقة عند النقاد
١٤	كان ولا يزال واحدا من الشعراء الكبار
١٤	لقب بشاعر التاريخ الإسلامي
١٤	شهادة الدكتور محمد رجب البيومي
١٥	فكرة ديوانه الأشهر «مجد الإسلام»
١٥	رواية الدكتور بدوي طبانة
١٦	افتتاحه ملحّمته بقوله : أنت معنى الوجود
١٦	إيمانه ضمن له النجاة من التفلسف
١٧	معارك النبي
١٨	مفاخرته بحبه للنبي عليه الصلاة والسلام
١٨	إيمانه بالجامعة الإسلامية وخيبة أمله في أتاتورك
١٩	كان يعتبر العرب عثمانيين مثلهم كمثل الترك
١٩	تحية دستور العرب والترك
٢٠	كان مثالي النزعة في السياسة
٢١	ميله السياسي للحزب الوطني
٢١	حماسه لنصرة الليبيين وفهمه للسياسة الدولية
٢١	الحرب الوحشية في طرابلس

٢٢ ثمار البطولة
٢٢ حرمة بيت الله الحرام
٢٣ يعبر عن تشوقه لرؤية لأبطال القادرين
٢٣ هل كان ماضويا بعاطفته أم كان ميالا بعقله للماضي المجيد
٢٣ يرى أن في الدين حل للمشكلات
٢٤ انشغاله بفكرة إعادة بناء الدولة الإسلامية
٢٥ اتجاؤه إلى شعر العقيدة
٢٥ أشعاره الوطنية
٢٥ قصيدته الشهيرة في الرد على مزاعم لورد كرومر
٢٦ الرد الموضوعي على لورد كرومر
٢٧ الرشد في الدين وحده
٢٧ شاعر الوحدة الوطنية
٢٨ النيل كرمز للوحدة الوطنية
٢٨ قصائده في محاربة الفتنة الطائفية
٢٩ الحفاظ الوطني
٢٩ مناجاة الوطن كمعشوقة
٣٠ فكرة ارتباط المصير بالوحدة الوطنية
٣٠ فكرة الإفادة من التجارب
٣٠ إيمانه بحتمية الإخاء الوطني
٣١ نموذج من حديثه الشعري إلى الأقباط المصريين
٣١ ضرورة التصدي للدعاوي الغربية الكاذبة
٣٢ موقفه من الزعماء الوطنيين
٣٢ قصائده في تحية الزعيم سعد زغلول باشا
٣٣ معارضته لأحد قرارات زعيم الأمة
٣٣ شعره الاجتماعي : دعوته لتعليم المرأة
٣٤ اختلافه مع قاسم أمين في السفور
٣٤ شعر الحكمة
٣٥ شعره العائلي والعاطفي
٣٥ كان مقلا في شعر المناسبات
٣٥ اتجاؤه إلى الأقباصيص الشعرية
٣٦ إسهاماته في تحرير أبولو و دراساته عن الشعراء و تقديره لأبو شادي
٣٦ وفاته
٣٧ الفصل الثاني : الشاعر أحمد الكاشف
٣٧ الذي ظل عثمانيا طيلة حياته

٣٧	ديوانه المنشور لا يقاس بشعره
٣٨	شهادة الشاعر حافظ إبراهيم و ما يرويه عن الأستاذ الإمام
٣٨	شهادة الشاعر إسماعيل باشا صبري
٣٨	شهادة الأديب العظيم مصطفى لطفي المنفلوطي
٣٨	رأي منصف لأمير الشعراء
٣٩	شهادة الكواكبي
٣٩	شهادة صاحب المنار محمد رشيد رضا
٣٩	القيمة التربوية لشعره
٣٩	علاقته بالنسبين الجركسي و الرومي
٤٠	نشأته ومرضه المبكر و ثقافته
٤١	ظهور شخصيته و هو لا يزال طالبا
٤٢	شعره السياسي
٤٢	الفرق بينه وبين شوقي في توجههما
٤٢	إيمانه العميق بالشعر ودوره الحضاري
٤٣	ملامح شعره الإسلامي
٤٣	حماسه وتأثيره للبيبا في الحرب الإيطالية
٤٤	الاعتصام بأخلاق الإسلام
٤٤	موشح في الدعوة إلى الإصلاح
٤٥	مديح السلطان عبد الحميد الثاني
٤٥	قصيدة أخرى من مدائحه للسلطان عبد الحميد
٤٧	غناؤه لدار الخلافة العثمانية بعد إقرار الدستور
٤٩	تعبيره الذكي عن حبه للعثمانيين
٥٠	يلوم المانيا على تخاذلها في دعم العثمانيين
٥١	مدائح الكاشف للخديو عباس حلمي الثاني
٥٢	حديثه عن الميول الإسلامية للخديو عباس حلمي
٥٣	قصة اتهامه السياسي ونجاته منه
٥٣	فخره برضا الخديو عنه
٥٣	قصيدته في الزعيم أحمد عرابي
٥٥	رثاء الزعيم مصطفى كامل
٥٥	هجاؤه لأحمد فتحي زغلول الذي يشيع نسبه إلى أمير الشعراء
٥٦	أرجوزته الوطنية الشهيرة
٥٧	تصوره لدور المال في المجتمع
٥٧	حبه للعدالة الاجتماعية وتبشيره المبكر بالاشتراكية
٥٧	فرحته بإقامة خزان أسوان

٥٨	استنقاذ ماء النيل من الضياع
٥٨	تقمصه لدور قيصر روسيا في حربه مع اليابان
٥٩	وجدانياته
٥٩	هجرانه للشعر
٦٠	اعتزاله حياة المدينة
٦٠	حبه الشديد للفلاحين المصريين
٦١	انتقادنا لبعض شعره المجامل
٦١	انتقادنا لانحيازه غير المهدب لمحمد محمود باشا
٦١	ديوانه
٦٢	الفصل الثالث : محمد عبد المطلب
٦٢	الشاعر السلفي مؤلف الإلياذة العلوية
٦٣	كتابة الأستاذ العقاد عنه طبعت كل ما كتب عنه
٦٣	الطابع البدوي في شعره
٦٤	كان غزير الإنتاج
٦٤	وكان قادرا على تنوع أشكال إبداعه
٦٥	توجهه السياسي و الفكري
٦٦	نشأته
٦٧	تكوينه الثقافي والسياسي
٦٧	وظائفه التعليمية
٦٧	نشاطه الاجتماعي البارز
٦٨	مشاركته في ثورة ١٩١٩ و رثاؤه للزعيم محمد فريد
٦٨	الطابع الكلاسيكي لشخصيته
٦٨	توجهه السلفي في قصيدته : الدين للعرمان
٦٩	الشاعر ينتقل من حال إلى حال
٦٩	وصف بيئة مكة المكرمة
٧٠	تباطؤ المسلمين في نصرة الدين
٧٠	الاعتذار إلى الله
٧٠	تصوره للدين والحضارة
٧١	دعوة النبي عليه الصلاة والسلام
٧١	إهداء قصيدته للنبي عليه السلام
٧٢	أروع قصائده : القصيدة العلوية
٧٢	مقدمة القصيدة
٧٣	يتمنى لقاء الإمام ويذكر ألقابه

٧٣	وصف الامام علي في حادثته
٧٣	علي في صباه وإسلامه
٧٤	موقف العشيّة من النبي عليه السلام
٧٤	علي في العشرين من عمره
٧٤	استخلافه ليلة الهجرة
٧٥	علي بالمدينة
٧٥	دفاعه عن الدين
٧٥	يوم بدر
٧٥	صهر النبي وزفاف السيدة فاطمة له
٧٦	موقعة أحد و بطولة علي
٧٧	في يوم الخندق
٧٧	منازلته لعمر بن ود
٧٨	بطولته في يوم خيبر
٧٨	منازلة مرجب بن منسية
٧٩	زعامة الإمام عليّ في الوقائع الحربية
٧٩	ورعه في إمامته وعلمه
٧٩	الإمام عليّ في السلم
٧٩	نفس الإمام عليّ
٧٩	وجه الإمام عليّ
٨٠	كرم الإمام عليّ وجوده
٨٠	القرآن يثني على الامام
٨٠	قيامه الليل
٨٠	موقف الإمام عليّ في الفتنة الكبرى
٨١	وصفه ليوم الدار
٨١	الترحم على الخليفة الثالث
٨١	النكبة التي نشأت عن مقتل عثمان
٨١	اختلاف المسلمين في أمر الخلافة
٨١	محايدون ومبايعون
٨١	الراجعون للحق : أهل الجمل
٨٢	الفئة الغالية : أهل الشام
٨٢	موقعة صفين
٨٢	دهاء عمرو بن العاص
٨٢	وصف التحكيم
٨٣	معاوية وبنو أمية

٨٣	أهل الدنيا
٨٣	لجاج أهل العراق
٨٤	الشورى
٨٤	البيان الواضح والخطب الصافية
٨٤	نصرة أهل الشام لمعاوية
٨٤	الشاعر يلوم بني الشام
٨٥	تبت يد الغادر
٨٥	فبعداً لابن ملجم
٨٥	نعي الإمام علي رضي الله عنه
٨٦	قصيدته في الاحتفال بأمير الشعراء
٨٧	وصفه لإجماع الشرق على تكريم شوقي
٨٨	يخاطب شوقي بأنه "شاعر النيل"
٨٨	يحيي شوقي باسم دار العلوم
٨٩	من قصيدته في رثاء الزعيم محمد فريد : موقف التوديع
٩٠	ديوانه المطبوع
٩٠	مخطوطاته في الأدب
٩٠	وفاته
٩٠	حفل تأبينه
٩١	الفصل الرابع : عبد الحلیم المصري
٩١	شاعر الإلياذة البكرية رضي الله عن صاحبها وأرضاه
٩١	مكانته في تاريخ أمته
٩١	موت مبكر لم يمنع العمر الطويل
٩٢	صاحب واحدة من القصائد الثلاث
٩٢	ظل يحمل لقب شاعر الملك
٩٣	هل يمكن مقارنته بالرفاعي و الشابي ؟
٩٣	لقب بشاعر الوطنية والشباب قبل أن يصبح شاعر الملك
٩٣	نشأته و دراسته للحربية وظهور موهبته مبكراً
٩٤	وظائفه في العسكرية ثم في الديوان الملكي
٩٤	إعجاب الشيخ الصوالحي به
٩٤	القصيدة البكرية
٩٥	الاحتفال بقصيدته
٩٥	أول صديق وأول مؤمن
٩٥	الإسراء والمعراج

٩٥	فضله في حروب الردة
٩٦	قصة سيدنا بلال
٩٦	صحبه للنبي في الهجرة
٩٦	معركة بدر
٩٧	استخلافه لعمر بن الخطاب
٩٧	بذله كل ماله في معركة تبوك
٩٧	موقفه يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
٩٧	تولييه الخلافة
٩٨	علم جنوده أخلاق الحروب
٩٨	موقفه من المواجهة الحربية
٩٨	حروب الزكاة
٩٨	فتوحات المسلمين في عهده
٩٩	حكيمته في سياسة الأمور
٩٩	قصيدة الإسلام
١٠٠	انتقادنا لمبالغاته في قصيدته في محمد علي باشا
١٠١	تشبعه بفكرة الملوكية المبكرة في شخصية محمد علي باشا
١٠٢	تبنيه لنظرية المؤامرة في قصيدته نحن والغرب
١٠٢	تجاوز خطوط المعقول في مديح البشر
١٠٢	اعتقاده في نجاح محمد علي في حروبه
١٠٣	آثاره
١٠٣	وفاته
١٠٤	رثاء حافظ إبراهيم له
١٠٤	الاحتفال بتكريم ذكره في عهد تولى الهلالي باشا وزارة المعارف

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

Poets of Islamic identity

In The Era of Occupation





يرنو هذا الكتاب إلى أن يقدم صورة عريضة الأفق وواسعة الزوايا لمشاعر أبناء الأمة الإسلامية في عصر الاحتلال الأوربي، فقد علمنا التاريخ أن الشعوب الطموحة تحرص، وهي تحت ظل الاحتلال، على أن تبحث في هويتها عن عوامل القوة والمجد والبناء، وهذا هو ما حدث بالضبط في ظل الاحتلال البريطاني لمصر منذ 1882، وقد عبر الشعر عن هذا الإحساس الذكي في أعمال عدد من كبار شعراء ذلك العصر الذين عاشوا حياة بسيطة في طابعها، لكنها ذاخرة بقيمها النفيسة، وكانت حياة كل منهم تقترب من السياسة بقدر يفوق في عمقه قدر اقتربهم من العمل العام كما كانت تعبر عن السياسة في معناها العميق بقدر يفوق ما يعبر به الوجدان المرهف للمواطن الذكي المنتمي، ولهذا فإننا نجد في أشعار هؤلاء الرواد الأربعة إحساسا دافقا بالعزة والعزيمة اللتين تستهديان بالدين كما نجد حيننا ملحا ويقظا إلى الأصالة والسلالة، و نصادف أيضا إيمانا حفيا بالصعود والنهوض، والإحياء و البعث كما نصادف استثارة متكررة للنخوة والكرامة، وفوق هذا كله فإننا نجد التعبير عن الولاء للإمبراطورية الإسلامية القائمة من خلال سلطان ممتد لدولة الخلافة العثمانية، ويعبر هذا الولاء عن نفسه أيضا بولاء متجدد لقيم الوطن وتاريخه. وقد كان من الطبيعي أن تتجه أعمال هؤلاء الشعراء إلى استلهام مجد الإسلام في أزهى عصوره على نحو ما ينبغي أن يكون هذا الاستلهام، وما يرتبط بالاستلهام من استدعاء واستحضار وتصوير فني لا يجيده إلا من ملكوا ناصية التعبير، و ملكة التأريخ، وتمكنوا من القدرة على صياغة دلالات الرؤية الكفيلة باستعادة المجد، وقد أضاف هؤلاء الأربعة إلى أعمال الشعراء الكبارين حافظ وشوقي ما جعل من أعمال هذه الحقبة التي ضمت هؤلاء الشعراء الستة نموذجا يحتذى به في التأريخ للإسلام ومجده ودولته.

